تبصير المسلمين بحكم الاحتفال بمولد سيد المرسلين

التوحيد

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٦٠٣ السنة الواحدة والخمسون - ربيع أول ١٤٤٣ هـ
الثمن ٥ جنيهات

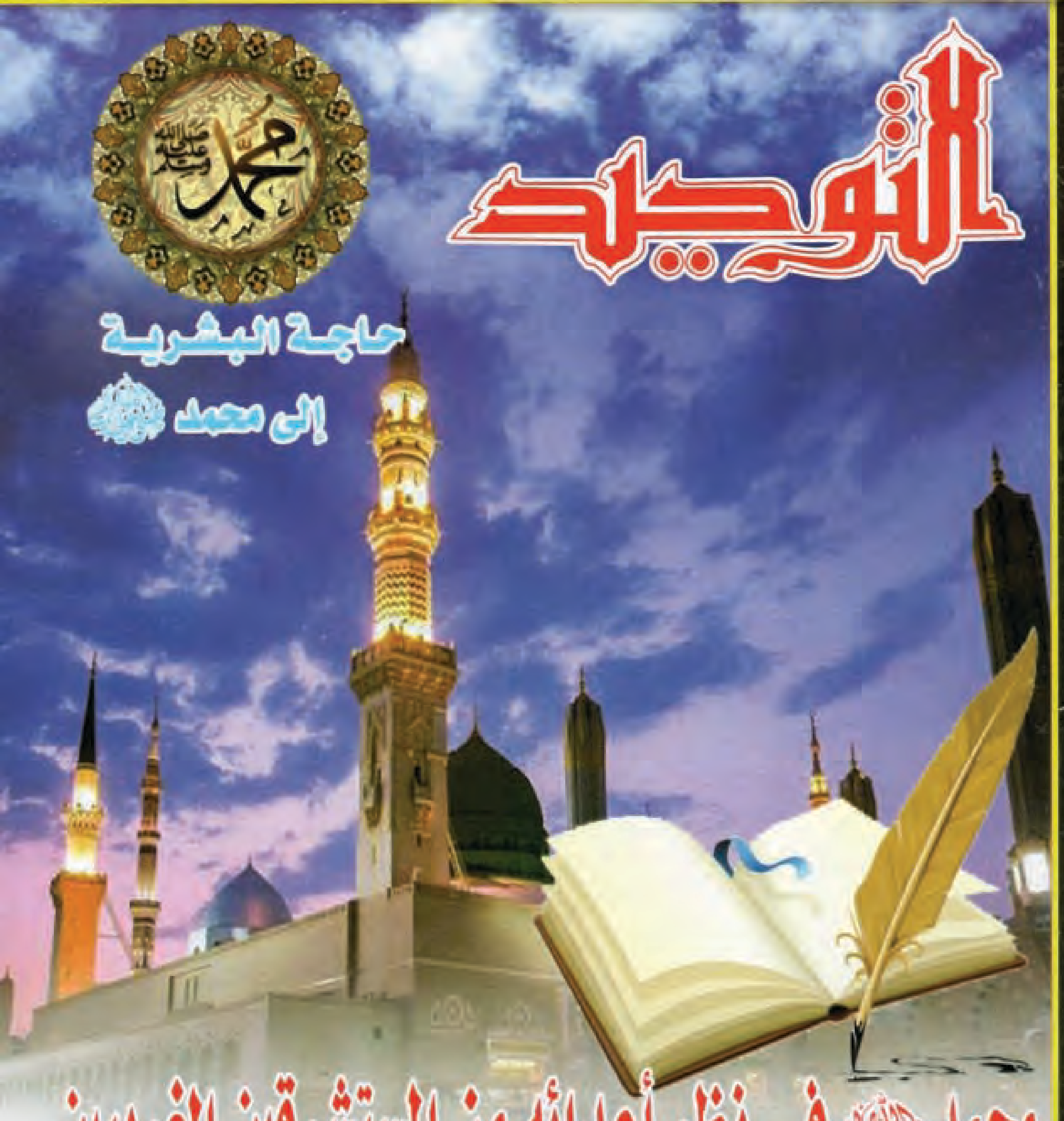

حاجة البشرية إلى محمد ﷺ

محمد ﷺ في نظر أعدائه من المستشرقين الغربيين

- مرض الغلو بين خوارج الماضي ومرضى العصر
- رسولنا عليه السلام أسوتنا وقدوتنا
- عقيدة أهل السنة والجماعة في رؤية الله سبحانه وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

رئيس مجلس الإدارة
أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

مستشار التحرير
جمال سعد حاتم

نائب المشرف العام
أ.د. مرزوق محمد مرزوق

اللجنة العلمية
د. جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د. محمد عبد العزيز السيد

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/ ١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الاسلامي مع ارسال قسيمة الايداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٢٩٣٠٦٦٢

٢- في الخارج ٤٠ دولارا او ٢٠٠ ريال سعودى او مايعادلهما

مطابع التجارية ACP

السلام عليكم

في كل مناحي هذه الدنيا يتهافت الكثيرون على التجديد. ولا حرج في ذلك ما دام لا ضرر ولا ضرار.

لكن لا تكاد ترى أو تسمع من يتكلم عن تجديد المنظومة الأخلاقية. بمعنى أن ما كان من مكارم الأخلاق فنسيه الناس فالتذكير به تجديد وإحياء لهذه المكارم التي لا تحيا الأمة إلا بها. وبغياب الأخلاق تزول الأمم.

وليس التجديد أن يهمل الشباب ستر العورات ليلبسوا سراويل ممزقة. ولا إثارة شعر الرأس فيقبل الشباب ويدبر كأنه شيطان. ولا أن ترتدي الفتاة ثيابا كان يعتبرها أجدادنا من العار والفضيحة. ولا أن يُسمى الأطفال المواليد بأسماء غريبة لم يسمعها أحد من قبل، ويهجرون أسماء الصالحين والصالحات التي تُعد من الفأل الحسن لهؤلاء الصغار. ولا بأن يشتري الآباء للأبناء أحدث أجهزة الاتصال التي هي سبب لإضلالهم وإفسادهم بما تحمله من فحش وانحراف. ولا بأن يُترك الشباب في الشوارع يلعبون الكرة في كل أوقات الليل والنهار. ولا صلاة. ولا أخلاق، ولا بالتعصب للفرق الكروية عصبية تمتلئ بالسب والشتم والكراهية وتضييع الأوقات بلا حساب. ولا.. ولا.. ولا.

منْ المسؤول عن فساد منظومة الأخلاق؟

من الذي يستطيع ضبط الأخلاق؟ في الشارع والطرقات والأماكن العامة؟ من الذي يخشى الله أن يحاسبه على هذا الانحدار الذي يوصل إلى جهنم وبئس القرار؟

التحرير

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٨ مجلدا
منْ مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٨ سنة كاملة

فهرس العدد

مضمون كلمة التوحيد وشروطها	د. عبد الله شاكر	٢
هذه عقيدتنا	د. عبد العظيم بدوي	٥
شهر ربيع أحداث وتأريخ	الشيخ أحمد عز الدين	٨
نظرات في وصية النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل	د. محمد عبد العزيز	١٠
معارف الوحي	د. أحمد منصور سبالك	١٤
مرض الغلو بين خوارج الماضي ومرضى العصر	د. مرزوق محمد مرزوق	١٧
سرية نخلة	د. سيد عبد العال	٢١
فقه المرأة المسلمة	د. عزة محمد رشاد	٢٤
تبصير المسلمين بحكم الاحتفال بمولد سيد المرسلين	الشيخ معاوية محمد هيكل	٢٨
حاجة البشرية إلى محمد صلى الله عليه وسلم	د. عبد الوارث عثمان	٣٢
واحة التوحيد	د. علاء خضر	٣٦
دراسات شرعية	د. متولي البراجيلي	٣٨
باب الفقه	د. حمدي طه	٤١
رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوتنا وقدوتنا	الشيخ عبده أحمد الأقرع	٤٤
عجائب الآثار في التراجم والأخبار	محمد محمود فتحي	٤٨
الشباب عماد الأمة	د. جمال عبد الرحمن	٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية	الشيخ علي حشيش	٥٣
القاضي الباقلاني	د. محمد عبد العليم الدسوقي	٥٧
آثار المعاصي على المسلم	الشيخ صلاح نجيب الدق	٦١
محمد صلى الله عليه وسلم في نظر أعدائه من المستشرقين	اللجنة العلمية	٦٤
مقالات في معاني القراءات	د. أسامة صابر	٦٨
عقيدة أهل السنة والجماعة في رؤية الله سبحانه وتعالى	المستشار أحمد السيد علي إبراهيم	٧٠

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز

جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير:

مصطفى خليل أبو المعاطي

رئيس التحرير التنفيذي:

حسين عطا القراط

مدير التحرير

إبراهيم رفعت أبو موته

الإخراج الصحفي:

أحمد رجب محمد

محمد محمود فتحي

إدارة التحرير ||
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت،٢٣٩٣٦٥١٧، فاكس، ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني ||
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

ثمن النسخة

مصر ٥٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

٩٢٠ جنيها ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

مضمون كلمة التوحيد وشروطها

الرئيس العام **د. عبد الله شاكر**

الحمد لله الواحد الأحد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فإن الإسلام يقوم على عقيدة التوحيد المتمثلة في قولنا: «أشهد أن لا إله إلا الله» وهذه الشهادة العظيمة شهد الله بها لنفسه في كتابه، كما شهد بذلك الملائكة وأولو العلم، قال تعالى: «شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ» (آل عمران: ١٨).

قال ابن كثير رحمه الله: شهد تعالى وكفى به شهيدًا، وهو أصدق الشاهدين وأعدلهم، وأصدق القائلين، «أنه لا إله إلا هو» أي: المتفرد بالألوهية لجميع الخلائق، وأن الجميع عبيده وخلقه وفقراء إليه، وهو الغني عما سواه. (تفسير ابن كثير، ج١/٤٨٩).

وهذا الكلام يدل على معنى «لا إله إلا الله»: أنه لا معبود بحق سواه، فلا يُصلَّى ولا يُصام ولا يُدعى ولا يُذبح ولا يُنذر لأحد سواه كما ذكر القرآن الكريم عن سيد الموحدين: «قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ» (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣).

وهذا إعلان من النبي صلى الله عليه وسلم بمخالفة المشركين، وأنه مقرِّب إلى الله بجميع أنواع العبادة تعظيمًا له وطلبًا لمرضاته، وقد أمره الله تعالى بذلك في قوله: «قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ» (الزمر: ١١، ١٢).

وقد اشتمل القرآن الكريم على آيات كثيرة تبين معنى هذه الكلمة العظيمة، وتدل على أن الأمر كله لله، وكان النبي صلى الله عليه وسلم بسيرته العملية يعلم أصحابه ذلك، وتأمل قوله تعالى عنه في يوم بدر: «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (الأنفال: ٩، ١٠).

وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عمر بن الخطاب أنه قال: لما كان يوم بدر نظر النبي

صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه، وهم ثلاثمائة ونيف، ونظر إلى المشركين، فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم القبلة وعليه رداؤه وإزاره، ثم قال: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبدًا، قال: فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، وأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فرده، ثم التزمه من ورائه، ثم قال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله الآية. (انظر: تفسير ابن كثير، ج٢/٣٩٦).

فهذا سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه وهو صاحب المقام المحمود والحوض المورود يستغيث بربه ومولاه؛ لأنه يعلم أن الذي يملك الدنيا والآخرة هو الله، وأنه هو وحده الذي يجيب المضطر إذا دعاه، كما قال تعالى: « أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ » (النمل: ٦٢).

ومثله فعل يونس عليه السلام وهو في بطن الحوت، حيث توجه إلى ربه ومولاه قائلاً: « لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ » (الأنبياء: ٨٧).

وقد وقعت له استجابة فورية من ربه ومولاه، كما قال تعالى: « فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ » (الأنبياء: ٨٨).

وقد يقول قائل: بأن هذا يقع للأنبياء والمرسلين بقربهم ومكانتهم عند رب العالمين، ولكن المتلوث بالذنوب والخطايا لا بد له من وسيلة أخرى تقربه إلى الله، فقطع القرآن الكريم هذا الظن والوهم، وبين أن كل ذلك واقع للمؤمنين فقال: «وكذلك ننجي المؤمنين»، أي: يقع للمؤمنين ما وقع للأنبياء والمرسلين، وقال تعالى عن مؤمن آل ياسين أنه قال لقومه: «وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ » (يس: ٢٢، ٢٣).

قال السعدي رحمه الله: أي: وما المانع لي من عبادة من هو مستحق للعبادة؛ لأنه الذي فطرني وخلقني ورزقني، وإليه مآل جميع الخلق فيجازيهم بأعمالهم، فالذي بيده الخلق والرزق، والحكم بين العباد في الدنيا والآخرة، هو الذي يستحق أن يُعبد، ويُثنى عليه ويمجد، دون من لا يملك نفعًا ولا ضرًا، ولا عطاءًا ولا منعًا. (تفسير السعدي، ج٦/٣٤١).

وقد بينت آيات القرآن الكريم أن كل ما عُبد من دون الله لا يملك شيئًا ولا يجيب أحدًا، كما قال تعالى: « قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ » (سبأ: ٢٢، ٢٣).

وقال تعالى: « قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ » (الأحقاف: ٤، ٥).

وقد تضمنت هذه الآيات أن جميع المعبودات التي عُبدت من دون الله لا فائدة منها، لأنها لم تخلق شيئًا، وليست شريكة في الكون، وينبغي أن يعلم أن هذه الشهادة اشتملت على ركنين أساسيين:

الأول: نفي الألوهية عن كل ما سوى الله تعالى؛ لأن كلمة «لا إله» تنفي أن يكون غير الله مستحقًّا للعبادة.

والثاني: الإثبات، وهو إثبات الألوهية لله سبحانه وتعالى، ويدل عليه كلمة «إلا الله».

قال الشيخ/عبد المحسن البدر: «وكلمة الإخلاص (لا إله إلا الله) مشتملة على نفي عام وإثبات خاص، فالنفي العام: نفي العبادة عن كل ما سوى الله، والإثبات الخاص: إثباتها لله وحده». (انظر: شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ص٦١).

ويجب أن يُعلم أن هذه الشهادة لا تتم إلا بالإتيان بجزئها الثاني، وهو: «شهادة أن

محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم»؛ لأنه المبلّغ عن الله رسالته، وبذلك تجب طاعته وعبادة الله عن طريقه. قال الشيخ عبد الرحمن الوكيل رحمه الله: «يفرض علينا ميثاق الله أن نجعل محمدًا صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل هو وحده الأسوة والقدوة، ليكون الناس في عبادتهم دينًا واحدًا، وقلبًا واحدًا، وغاية واحدة، وأمة واحدة». «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» (الأحزاب: ٢١). ويتبع هذا الإيمان بكل رسل الله، وبكل ما أنزل الله من كتب، ونعتقد أن القرآن هو المهيمن عليها، فلا نعمل إلا بما فيه. (مجلة الهدي النبوي، عدد صفر، سنة ١٣٨٢، ص١٧).

شروط كلمة التوحيد:

دلت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة المحمدية أن هذه الكلمة العظيمة لا تنفع قائلها ولا تقبل منه إلا بشروط سبعة، وبيانها كالتالي:

الشرط الأول: العلم بمعناها الذي تدل عليه، وهو أنه لا يستحق العبادة إلا الله، قال تعالى: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ» (محمد: ١٩). وقال تعالى: «وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» (الزخرف: ٨٦).

قال ابن كثير رحمه الله: «هذا استثناء منقطع؛ أي: لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم». (تفسير ابن كثير، ج٤/١٧٤).

وقد اشترط النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الشهادة العلم، كما في حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة». (صحيح مسلم (٢٦)).

الشرط الثاني: اليقين المنافي للشك، ومعناه: أن يكون قائلها: موقنًا بها يقينًا جازمًا، قال تعالى في وصف أهل الإيمان: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا» (الحجرات: ١٥). وقد اشترط النبي صلى الله عليه وسلم في قائلها عدم الشك أو الارتياب، كما روى عنه أبو هريرة رضي الله عنه، أنه قال: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؛ لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة». (صحيح مسلم (٢٧)).

الشرط الثالث: القبول المنافي للرد، والمراد به انصياع القلب وخضوعه لكل ما جاء عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ويؤمن بأنه حق وصدق، ويذعن لحكمه سبحانه وتعالى، وقد أخبر القرآن الكريم عن استكبار المشركين وعدم قبولهم لهذه الكلمة العظيمة، قال تعالى: «إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ» (الصافات: ٣٥، ٣٦).

الشرط الرابع: الانقياد المنافي للشرك، وذلك يكون بفعل ما دلت عليه هذه الكلمة من عبادة الله وحده، وينقاد بجوارحه مسلمًا وجهه لله تبارك وتعالى.

الشرط الخامس: الصدق المنافي للكذب، وهو أن لا يخالف ظاهره باطنه، بل يتواطؤ الظاهر مع الباطن. قال تعالى: «الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ» (العنكبوت: ١- ٣).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله صادقا من قلبه إلا حرمه الله على النار». (صحيح البخاري ١٢٨، صحيح مسلم ٣٢).

الشرط السادس: الإخلاص المنافي للشرك، ويكون بتصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك. قال تعالى: «فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ» (الزمر: ٢، ٣).

الشرط السابع: المحبة: وهو أن يحب هذه الكلمة، ويحب ما دلت عليه، ويحب العاملين بها، قال الله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ» (البقرة: ١٦٥).

وفق الله المسلمين لتحقيق كلمة التوحيد وشروطها، والله ولي التوفيق.

هذه عَقِيدَتُنَا

إعداد **د. عبد العظيم بدوي**

الحَمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلّم وبارك على نبيِّه محمد وعلى آله وصحبه والتابعين. وبعدُ، فقدْ مضى على صُدُور «مجلة التَّوحيد» التي تُصدرُها «جمعية أنصار السُّنّة المحمَّدية» خمسون عامًا، وقد قام الأخ الكريم/مُحمَّد بنُ محمُود بن فتحي- جزاه الله خيرًا- في العدد الماضي- عدد صفر- باستعراض جهود هذه المجلة خلال هذه الأعوام، فوقع في قلبي أنْ أكتبَ هذا الشهر مقالاً بعنوان: «هذه عقيدتنا» لبيان ما كان عليه علماء هذه الجمعيّة، وما زال خلفهُم مُتمسّكين بها، داعين إليها، بالحكمة والموعظة الحسنة، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

قَالَ تعالى: «إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ» (آل عمران:١٩)، وقدْ عرَّفه النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بقوله: «الإسْلامُ أنْ تَشْهدَ أنْ لا إله إلا الله وأنَّ مُحمَّدًا رَسُول الله، وتُقيمَ الصَّلاةَ، وتُؤْتيَ الزَّكَاةَ، وتَصُومَ رمضان، وتَحجَّ البيْتَ إنْ استطعْتَ إليْه سبيلاً». وقال تعالى: «قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ» (البقرة: ١٣٦)، وقدْ عرَّف النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم الايمانَ بقوْله: «الايمانُ أنْ تُؤْمنَ بالله وملائكته وكُتُبه ورُسُله واليوْم الآخر والقَدَر كله خيْره وشرِّه».

قُلْتُ: ونَحْنُ مُؤْمنُون بذَلك كلِّه، لا نُفَرِّقُ بيْنَ أحد منْ رُسُله، ونُصدِّقُهمْ كُلَّهُمْ على ما جاؤوا به.

لا يعْلمُ الغيْب إلا الله:

ومنَ الايمانِ بالله الايمانُ بأنّهُ سُبْحانه «عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا» (الجن: ٢٦)، فلا يعْلمُ الغيْب ملكٌ مُقرَّبٌ، ولا نبيٌّ مُرْسل، فضْلاً عمَّنْ دُونهُمْ من الصَّالحين من الجنِّ والإنْس، ولذلك فنحْنُ لا نُصدِّقُ كاهنًا ولا عرَّافًا، ولا منْ يدَّعي شيْئًا يُخالفُ الكتَاب والسُّنَّة واجْماعَ الأمَّة.

عُموم رسالة محمّد صلى الله عليه وسلم وختْم النُّبُوّة به:

ومنَ الايمان بمُحمَّد صلى الله عليه وسلم الايمانُ بأنَّه خاتَم الأنْبياء، وإمامُ الأتْقياء، وسيِّد المُرْسلين، وخليل ربِّ العالمين، فإنَّ الله تعالى اتَّخذَهُ خليلاً كما اتَّخذَ إبْراهيم خليلاً، وكُلُّ دعْوى النُّبُوَّة بعْده فغيٌّ وهوى، وهُو المبْعُوثُ إلى عامَّة الجنِّ وكافَّة الوَرى، بالحق والهُدى، وبالنُّور والضِّياء.

وسطيّة الإسلام:

وهذا الدِّين هو دين الوسطيَّة، وهُو بيْن الغلُوِّ

وَالتَّقصير، وَبيْنَ التَّشْبيه والتَّعطيل، وَبيْنَ الْجبْر والْقَدر، وَبيْنَ الأَمن والإياس.

حقيقة الإيمان:

وَالإيمَانُ هُوَ الإقْرارُ باللسَان، والتَّصْديقُ بالْجنان، والْعمل بالأرْكان، يزيدُ بالطَّاعات، وَيَنقُصُ بالمعاصي.

عقيدة أنصار السُّنة في القرآن الكريم:

وإنَّ الْقُرْآنَ كلامُ الله، منْهُ بدا بلا كيْفيَّة قوْلاً، وأنْزلهُ على رَسُوله وحْيًا، وصدَّقه المؤْمنون على ذلك حقًا، وأيْقنوا أنه كلامُ الله تعالى بالحقيقة، ليْس بمخْلوق ككلام البريَّة، فمنْ سمعهُ فزعم أنَّهُ كلامُ البشر فقدْ كفر، وقدْ ذمَّهُ الله وعابهُ وأوْعدهُ بسقر، حيْثُ قال تعالى: « سَأُصْلِيهِ سَقَرَ » (المدَّثر: ٢٦)، فلمَّا أوْعد الله بسقر لمنْ قال: « إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ » (المدَّثر: ٢٥) علمْنا وأيْقنَّا أنَّهُ قوْلُ خالق الْبشر، ولاَ يُشْبهُ قوْل الْبشر، ومنْ وصف الله بمعْنًى منْ معاني الْبشر فقدْ كفر، فمنْ أبْصر هذا اعْتبر، وعنْ مثْل قوْل الْكُفَّار انْزجر، وعلم أنهُ بصفاته سبحانه ليْس كالبشر. "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" (الشورى: ١١).

منْ هو المسلم؟

وَنُسمِّي أهْل قبْلتنا مُسْلمينَ مُؤْمنينَ ما دامُوا بما جاءَ به النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم مُعْترفينَ، ولهُ بكُل ما قالهُ وأخْبرَ مُصدِّقينَ.

أنصارُ السُّنة ليْسوا تكفيريِّين:

ولاَ نُكفِّرُ أحدًا منْ أهْل القبْلة بكل ذنْب ما لمْ يسْتحلَّهُ اسْتحْلالاً قلْبيًا اعْتقاديًا. أمَّا الاسْتحْلالُ الْعمليُّ فهُو معْصيةٌ، إنْ تاب؛ تاب الله عليْه، وإنْ مات منْ غيْر توْبة فأمْرُهُ إلى الله، قال الإمامُ الطحاوي- رحمه الله-:

وأهْلُ الكبائر منْ أمَّة مُحمَّد صلى الله عليه وسلم في النَّار لا يُخلَّدُون، إذا ماتُوا وهُمْ مُوحِّدُون، وإنْ لمْ يكُونُوا تائبين، بعْد أنْ لقُوا الله عارفين مُؤْمنين، وهُمْ في مشيئته وحُكْمه، إنْ شاء غفر لهُمْ وعفا عنْهُمْ بفضْله، كما ذكر عز وجل في كتابه: « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ » (النساء: ٤٨ و١١٦)، وإنْ شاء عذَّبهُمْ في النَّار بعدْله، ثُمَّ يُخْرجُهُمْ منْها برحْمته وشفاعة الشافعين منْ أهْل طاعته ثُمَّ يَبْعثُهُمْ إلى جنَّته، وذلك بأنَّ الله تعالى توَلَّى أهْل معْرفته، ولمْ يجْعلْهُمْ في الدَّاريْن كأهْل نكرته، الَّذين خابُوا منْ هدايته ولمْ ينالوا منْ ولايته.

ولا تلازُم بيْن الاسْتحْلال الْعمليّ والْقلْبيّ، فليْس كُل منْ اسْتحل الذَّنْب عمليًّا مُسْتحلاًّ لهُ قلْبيًّا، وإنْ تكرَّر منْهُ الذَّنْبُ؛ عنْ عُمر بْن الْخطاب رضي الله عنه أنَّ رجُلاً على عهْد النَّبيّ صلى الله عليه وسلم كان اسْمُهُ عبْد الله، وكان يُلقَّبُ حمارًا، وكان يُضْحكُ رسُول الله صلى الله عليه وسلم، وكان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم قدْ جلدهُ في الشَّراب، فأُتي به يوْمًا فأمر به فجُلد، فقال رجُل من الْقوْم: اللَّهُمَّ الْعنْهُ، ما أكْثر ما يُؤْتى به؟ فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: « لا تلْعنُوهُ، فوالله ما علمْتُ إنَّهُ يُحبُّ الله ورسُولهُ ». رواهُ الْبُخاريّ (٦٧٨٠)؛ بابُ ما يُكْرهُ منْ لعْن شارب الْخمْر وأنَّهُ ليْس بخارج من الْملَّة.

الصَّلاةُ خلْف كُلّ برّ وفاجر:

ولمَّا كُنَّا لا نُكفّرُ بالمعاصي فنحْنُ نُصلي خلْف كُلّ برّ وفاجر منْ أهْل الْقبْلة، وعلى منْ مات منْهُمْ، خلافًا للتَّكْفيريّين الَّذين لا يُصلُّون إلاَّ خلْف منْ يعْرفُون أنَّهُ على مذْهبهمْ.

عقيدة أنصار السُّنة في أولي الأمر:

ولا نرى الْخُرُوج على أئمَّتنا وولاة أُمُورنا وإنْ جارُوا، ولا ندْعُو عليْهمْ، ولا ننْزعُ يدًا منْ طاعتهمْ، ونرى طاعتهُمْ منْ طاعة الله عز وجل فريضةً ما لمْ يأْمُرُوا بمعْصية، وندْعُو لهُمْ بالصَّلاح والْمُعافاة.

عقيدةُ أنصار السُّنة في أصْحاب رسُول الله صلى الله عليه وسلم:

ونُحبُّ أصْحاب رسُول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نُفْرطُ في حُبّ أحد منْهُمْ، ولا نتبرَّأُ منْ أحد منْهُمْ، ونُبْغضُ منْ يُبْغضُهُمْ وبغيْر الْخيْر يذْكُرُهُمْ، ولا نذْكُرُهُمْ إلاَّ بخيْر، وحُبُّهُمْ دينٌ وإيمانٌ وإحْسانٌ، وبُغْضُهُمْ كُفْرٌ ونفاقٌ وطُغْيانٌ.

ونُثْبتُ الْخلافة بعْد رسُول الله صلى الله عليه وسلم أوَّلاً لأبي بكْر الصّدّيق رضي الله عنه تفْضيلاً لهُ وتقْديمًا على جميع الأُمَّة، ثُمَّ لعُمر ابْن الْخطَّاب رضي الله عنه، ثُمَّ لعُثْمان رضي الله عنه، ثُمَّ لعليّ بْن أبي طالب رضي الله عنه، وهُمُ الْخُلفاءُ الرَّاشدُون، والأئمَّةُ الْمهْديُّون.

وأنَّ الْعشرة الَّذين سمَّاهُمْ رسُولُ الله صلى الله

عليه وسلم وبشرهم بالجنة نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله الحق، وهم أبو بكر وعمر، وعثمان وعلي، وطلحة والزبير، وسعد وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة الجراح، وهو أمين هذه الأمة، رضي الله عنهم أجمعين.

عقيدة أنصار السنة في آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه الطاهرات من كل دنس، وذرياته المقدسين من كل رجس فقد برئ من النفاق.

عقيدة أنصار السنة في علماء الأمة:

وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل.

عقيدة أنصار السنة في أولياء الله:

والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن، وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن، ولا نفضل أحدا من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء، ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم.

عقيدة أنصار السنة في الموت وما بعده:

ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين، وبعذاب القبر لمن كان له أهلا، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه، ودينه، ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة رضوان الله عليهم، والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران.

ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها.

ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب، والصراط والميزان. والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدا ولا تبيدان. وأن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق وخلق لهما أهلا، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلا منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلا منه، وكل يعمل لما قد فرغ له وصائر إلى ما خلق له. وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة وعدد من يدخل النار جملة واحدة، فلا يزاد في ذلك العدد ولا ينقص منه. وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه، وكل ميسر لما خلق له، والأعمال بالخواتيم، والسعيد من سعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله.

رؤية أهل الجنة ربهم عز وجل، نسأل الله من فضله:

والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا: «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ» (القيامة: ٢٣). وتفسيره على ما أراده الله تعالى وعلمه، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه.

ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم، أو تأولها بفهم، إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية بترك التأويل، ولزوم التسليم، وعليه دين المسلمين، ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه. فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية، منعوت بنعوت الفردانية، ليس في معناه أحد من البرية.

فهذا ديننا واعتقادنا ظاهرا وباطنا، ونحن براء إلى الله من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان ويختم لنا به، ويعصمنا من الأهواء المختلفة، والآراء المتفرقة، والمذاهب الردية، مثل المشبهة والمعتزلة، والخوارج والمرجئة، والجهمية والجبرية والقدرية، وغيرهم من الذين خالفوا السنة والجماعة، وحالفوا الضلالة، ونحن منهم براء، وهم عندنا ضلال وأردياء. وبالله العصمة والتوفيق. اهـ ملخصا من «متن العقيدة الطحاوية»، ومن أراد المزيد من البيان والشرح والاستدلال فعليه بـ«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز- رحمه الله-

والحمد لله رب العالمين.

شهر ربيع: أحداث وتاريخ

إعداد/ **أحمد عز الدين محمد**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين؛ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن شهر ربيع الأول قد حدثت فيه أحداث ووقائع عظيمة أثرت على وجه الأرض عامة. وجزيرة العرب خاصة. أحببنا أن نذكرها لنأخذ منها العبر والعظات ونأخذ منها القدوة والأسوة مدى الدهر إلى يوم القيامة ومن هذه الأحداث وأهمها:

أولا: ولادة سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم في يوم الاثنين من شهر ربيع أول عام الفيل.

ولا خلاف أنه وُلد في يوم الاثنين، وهذا قطعيّ لورود ذلك في الحديث الثابت في صحيح مسلم، قال: "هذا يومٌ وُلدتُ فيه، وهذا يوم أنزل عليَّ فيه". وكان يصومه صلى الله عليه وسلم.

ويجب أن نعلم أن المتفق عليه أنه وُلدَ في يوم الاثنين وفي شهر ربيع الأول، ولكن أي اثنين من ربيع الأول، فلم توجد رواية صحيحة قطعية في ذلك، وينبغي دائمًا في طلب العلم أن يأخذ الطالب ما اتفق عليه العلماء العدول الثقات حتى لا يقع الناس في البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

وكان في مولده صلى الله عليه وسلم الخير والهدى والرحمة للبشرية جميعًا، ولله در القائل:

وُلد الهدى فالكائنات ضياء
وفم الزمان تبسُّم وثناء

ثانيا: هجرته صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة في ربيع أول سنة ١٤ من البعثة؛ وذلك لثلاث وخمسين سنة من مولده صلى الله عليه وسلم.

وقد دخل المدينة في يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول وذلك وقت الظهيرة (ظهرًا) وهو في الطريق إلى المدينة لقي النبي صلى الله عليه وسلم بريدة بن الحصيب الأسلمي ومعه نحو ثمانين بيتًا فأسلم وأسلموا وصلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء الآخرة خلفه. وأقام بريدة بعد ذلك بأرض قومه حتى قدم على النبي بعد أحد.

وقبل المدينة لقي النبي صلى الله عليه وسلم أيضا الزبير بن العوام (ببطن رئم) اسم مكان يستريح فيها التجار، وكان الزبير مع ركب من المسلمين، وكانوا قافلين من تجارة إلى الشام، فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه ثيابًا بيضًا؛ روى ذلك البخاري عن عروة بن الزبير.

وقال ابن القيم رحمه الله: "وسُمعتْ الوجبة- الصوت العالي- والتكبير في بني عمرو بن عوف، وكبر المسلمون فرحًا بقدومه، وخرجوا للقائه، وحيَوه بتحية النبوة فأخذوا مطيفين حوله والسكينة تغشاه، والوحي ينزل عليه: «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ» (التحريم: ٤).

وأقام النبي صلى الله عليه وسلم بقباء أربعة أيام في رواية محمد بن إسحاق: الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وعند البخاري أنه أقام أربعًا وعشرين ليلة، وأسس مسجد قباء وصلى فيه، وهو أول مسجد أسس على تقوى الله بعد النبوة، وسميت يثرب بعد ذلك بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد ارتجت البيوت والسكك من صوت الحمد والتسبيح، ثم قال النبي كما جاء في رواية أنس رضي الله عنه عند البخاري: «أي بيوت أهلنا أقرب؟». فقال أبو أيوب الأنصاري: أنا يا رسول الله، هذه داري وهذا بابي. قال: «فانطلق فهيئ لنا مقيلاً». قال: قوما على بركة الله. رواه

البخاري.

وبعد أيام وصلت إليه زوجته سودة وبنتاه: فاطمة وأم كلثوم رضي الله عنهن، وكذلك أم أيمن وخرج معهم عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر ومنهم عائشة، وبقيت زينب عند أبي العاص حتى هاجرت بعد بدر.

ثالثا: غزوة بني النضير في ربيع الأول سنة ٤هـ.

وفيها قال محمد بن إسحاق بن يسار: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري وهما من بني عامر للجوار والعهد الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم قد كتبه لهما وعمرو كان لا يعلم ذلك، فقتلهما، لأنه هو الوحيد الذي بقي من السبعين الذين قتلوا في بئر معونة، وذهب النبي صلى الله عليه وسلم لعمرو للمعاونة في دية أهل القتيلين.

فذهب النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير، وهم عندهم المال وهناك عهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقالوا: نعم يا أبا القاسم نعينك بما أجبت مما استعنت بنا عليه: ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه، وجلس النبي صلى الله عليه وسلم في بني النضير إلى جنب جدار من بيوتهم، فأمروا رجلاً من اليهود اسمه عمرو بن جحاش ليحمل صخرة، ويصعد على الجدار والنبي لا يدري ويلقي على رأسه الشريف حجرًا.

وكان إلى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر ونفرًا من أصحابه رضي الله عنهم، فأتى الخبر من السماء بما أراد القوم، فترك من معه، ورجع إلى المدينة، فلما قاموا في طلبه فلم يجدوه فرأوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم داخلاً المدينة.

فأقبل أصحابه إلى المدينة حتى انتهوا إليه. فأخبرهم بما كانت اليهود أرادت من الغدر به فأمر أصحابه بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم. واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، وحاصر بني النضير وكانت حصونهم منيعة. وعندهم صوامع فيها مؤنة تكفيهم شهورًا وبساتين ونخيل مثمرة: وأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالتسليم فأبوا فأمر النبي بقطع النخيل وخلع الثمار فسلموا وغنم النبي وأصحابه مالهم وحصونهم وسلاحهم ونزلت سورة الحشر في بيان ذلك ومن المعلوم أن حصون بني النصير لا يقوى عليها أحد كما زعمت اليهود. قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَٰأُولِي الْأَبْصَٰرِ﴾ (الحشر: ١، ٢).

ظن اليهود أن حصونهم تمنعهم من الله عز وجل وليس من المؤمنين فكانت عزة الله وحكمته بعد صبر المؤمنين في أحد وما أصابهم بعد ذلك من غدر قبائل نجد وقتلهم لأصحابه صلى الله عليه وسلم فمنح الله تعالي نبيّه صلى الله عليه وسلم هذا الفتح للمؤمنين الصابرين حتى أن اليهود استعانوا على المؤمنين ليأخذوا أبواب وأخشاب وسقف بيوتهم بعد خرابها ليكونوا عبرة لغيرهم وأحداث بني النضير كثيرة وفي هذا كفاية ولله الفضل والمنة.

رابعا: دومة الجندل لخمس
ليال بقين من ربيع الأول سنة ٥هـ.

وفيها: جاءت إلى النبي أخبار بأن قبائل حول دومة الجندل، قريبًا من الشام تقطع الطريق هناك وتنهب ما يمر بها وأنها حشدت جمعًا تريد المدينة فاستخلف النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة سباع بن عرفطة رضي الله عنه وخرج في ألفين من المسلمين- وأخذ رجلاً من بن عذرة دليلاً للطريق يقال له:- مذكور- خرج يسير الليل ويكمن النهار حتى تفاجأ أعداؤه - فلما دنا منهم وفاجأهم في جيش المسلمين فأصاب من أصاب، وهرب من هرب، وان أهل دومة الجندل تفرقوا في شعاب الجبال، فلما نزل المسلمون بساحتهم لم يجدوا أحدًا، وأقام النبي صلى الله عليه وسلم أيامًا وبث سراياه ووادع في هذه الغزوة عيينة بن حصن، وغنم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعادوا إلى المدينة. ودومة الجندل تبعد عن دمشق إلى الشام خمس ليال. وعن المدينة خمس عشرة ليلة، فالحمد لله على نصرة لأوليائه.

هذا وصلى الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. والله من وراء القصد.

نظرات في وصية النبي صلى الله عليه وسلم

لمعاذ رضي اللّه عنه حين أرسله إلى اليمن

إعداد د. محمد عبد العزيز

«ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا» (الإسراء: ١١١)، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

وبعد: فإن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وهديه هي التطبيق العملي لشرائع الإسلام، وفيها بيان لمواضع التأسي به صلى الله عليه وسلم، وفيها بيان لأخلاقه وشيمه وهديه في تعليم الصحابة والتعامل معهم ومخالطته لهم، خطب عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال: «إنا والله قد صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر والحضر، فكان يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير». (أخرجه أحمد: ٥٠٤). ولذا كان الأخذ بهدي الصحابة رضوان الله عليهم في الاعتقاد والعمل نجاة؛ لأنهم هم الذين عاصروا التنزيل، ورأوا التطبيق العملي له، وفي سيرته صلى الله عليه وسلم ردٌّ على كثيرٍ من الدعاوى والبدع التي تظهر حينًا بعد حين ركوبًا للهوى، واتباعًا للشبهات، بل وركوبًا للشهوات. وقد كان أصل هذا المقال ردًا على بدعتي ضلالة تخالفان المعلوم من الدين بالضرورة علا صوت المنادين بهما؛

الأولى: الدعوى لما يسمى بوحدة الأديان.

الثانية: دعوى أن غير المسلمين من أهل الكتاب بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم من الناجين يوم القيامة، وأنهم يدخلون تحت المشيئة.

وكلاهما دعوى باطلة ساقطة تخالف المعلوم من دين الإسلام بالضرورة، وقد رأيت أن أسوق وصية النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه قاضيًا ومعلمًا ومفقهًا لأهل اليمن ففيها الكثير من الأحكام العلمية العقدية، والأحكام العملية الفقهية وفيها ردٌ على تلك البدعتين، فأقول وبالله التوفيق والسداد.

بعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا موسى الأشعري (عبد الله بن قيس) رضي الله عنه إلى إقليم من أقاليم اليمن قاضيًا ومعلمًا، ثم أتبعه معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى إقليم آخر من أقاليم اليمن في العام العاشر للهجرة، فعن أبي بردة قال: «بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن.

قال وبعث كل واحد منهما على مخلاف، قال: واليمن مخلافان.

ثم قال: يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبشِّرا ولا تُنفِّرا.

فانطلق كل واحد منهما إلى عمله». (أخرجه البخاري ٤٣٤١، ومسلم ١٧٣٣).

والمخلاف: بكسر الميم وسكون المعجمة وآخره فاء- بلغة أهل اليمن الكورة والإقليم والرستاق.

وكانت جهة معاذ العُليا إلى صوب عدن، وكان من عمله الجند -بفتح الجيم والنون- وله بها مسجد مشهور إلى اليوم، وكانت جهة أبي موسى السُّفلى (فتح).

ولم يكونا وحدهما من أرسل إلى اليمن، بل أرسل أيضًا: خالد بن الوليد رضي الله عنه قبل حجة الوداع في ربيع الأول سنة عشر- وقيل: في ربيع الآخر، وقيل: في جمادى الأولى- إلى بني عبد المدان بنجران فأسلموا.

ثم أرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى اليمن في شهر رمضان سنة عشر من الهجرة، وعقد له لواءً وعممه بيده، ثم رجع منها فوافى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وقد قدمها للحج سنة عشر، فحج مع النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع، وتسمى حجة الإسلام، وحجة البلاغ. (ينظر: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، للقسطلاني ١ /٤٣٢).

والذي يهمنا في هذه المقالة من سوق هذه القصة العظيمة وصيته لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن، فقد بلغ من اهتمامه صلى الله عليه وسلم بهذه الوصية أنه خرج يشيع معاذًا ماشيًا على قدميه ومعاذ راكب راحلته حين أراد الخروج إلى اليمن، وأوصاه بها وصية مودع، وأعلمه أنه لا يلقاه بعدها في الدنيا، قال معاذ رضي الله عنه: «لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن خرج معه يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي تحت راحلته، فلما فرغ قال: يا معاذ إنك عسى ألا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري.

فبكى معاذ جشعًا لفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم التفت بوجهه نحو المدينة، فقال: إن أولى الناس بي المتقون من كانوا، وحيث كانوا». (أخرجه أحمد (٢٢٠٥٢). والجشع: الفزع لفراق الإلف).

قال ابن كثير في السيرة النبوية (٤ /١٩٣): «وهذا الحديث فيه إشارة وظهور وايماء إلى أن معاذًا رضي الله عنه لا يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك، وكذلك وقع، فإنه أقام باليمن حتى كانت حجة الوداع، ثم كانت وفاته عليه السلام بعد أحد وثمانين يومًا من يوم الحج الأكبر».

وقد جاء سياق هذه الحادثة متفرقًا في عدد من الأحاديث، وفي بعضها ما ليس في الآخر، وقد ساق أصحاب الكتب الستة هذه الوصية لأهميتها من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وهي التي نعتني بها في هذه المقالة، وسأذكر الفوائد التي تؤخذ من الجملة الأولى وحدها على شكل فوائد.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فإذا جئتهم، فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا

إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب». أخرجه الستة: البخاري (١٣٣١)، (١٣٨٩)، (١٤٢٥)، (٢٣١٦)، (٤٠٩٠)، (٦٩٣٧)، ومسلم (١٩/ ٢٩ - ٣١)، وأبو داود (١٥٨٤)، والنسائي (٢٥٢٢)، والترمذي (٦٢٥)، (٢٠١٤)، وابن ماجه (١٧٨٣).

الفوائد المستفادة من الجملة الأولى في الحديث:

الأولى: قوله: «إنك ستأتي قومًا أهل كتاب»: توطئة وتمهيد للوصية ليستجمع همته في دعوتهم، فإن أهل الكتاب أهل علم، ومخاطبتهم لا تكون كمخاطبة جُهَّال المشركين وعبدة الأوثان في العناية بها. (إحكام الإحكام، لابن دقيق العيد ١/ ٣٧٥، ورياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام، للفاكهاني ٣/ ٢٨٨).

الثانية: أهل الكتاب المراد بهم: اليهود والنصارى مهما كانت أنسابهم، وليس المراد بهم من أرسل إليه نبي فإن ذلك يخرج غيرهم ممن لحق بهم.

فمن المعلوم أن موسى وعيسى عليهما السلام قد بُعثا إلى بني إسرائيل، وأن الأنبياء والمرسلين كانوا يبعثون إلى قومهم خاصة. قال الله تعالى في موسى صلى الله عليه وسلم: «وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ» (الإسراء: ٢)، وقال الله تعالى في عيسى «وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ» (آل عمران: ٤٨، ٤٩).

ومن المعلوم أيضًا كثرة النصارى في الروم والقبط وأهل نجران من اليمن في عهده صلى الله عليه وسلم وليسوا قطعًا من بني إسرائيل، وقد سماهم النبي صلى الله عليه وسلم: أهل كتاب.

الثالثة: أهل الكتاب من اليهود والنصارى لهم أحكام خاصة تميزهم عن سائر المشركين، فمنها حل ذبيحتهم، وإباحة التزوج من نسائهم، قال تعالى: «ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ» (المائدة: ٥).

الرابعة: قوله: «فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله» يدل على أشياء منها:

١ - إن الشهادتين أصل هذا الدين، فلا يصح إسلام أحد ولا الحكم بنجاته في الآخرة إلا بالإتيان بهما، قال الفاكهاني في رياض الأفهام (٣/ ٢٨٩): «أجمعت الأمة على أن الكفار مخاطبون بهما».

٢ - إن التلفظ بالشهادتين شرط للنجاة في الآخرة، كما أنهما شرط لإجراء الأحكام في الدنيا، وقد انعقد إجماع أهل السنة على ذلك، قال الفاكهاني في رياض الأفهام (٣/ ٢٨٩): «أي: تلفظوا بالشهادتين ولا بد، هذا معنى إطاعتهم بذلك، فلا يكفي غيرُ التلفظ: من إشارة، أو قرينة ما دالة على الإيمان، بل لا بد من النطق بهما جميعًا، حتى لو تلفظوا بإحداهما، لم يُكتف منهم بذلك».

وهذا يدل على بطلان قول جمهور متأخري الأشعرية الذين يجعلون التلفظ بالشهادتين شرطًا لإجراء أحكام الدنيا فقط، فلو جاء في الآخرة ولم يتلفظ بالشهادتين بغير علة وكان مصدقًا فهو عندهم من الناجين، قال إبراهيم اللقاني في جوهرة التوحيد:

وفسر الإيمان بالتصديق
والنطق فيه الخلف بالتحقيق
فقيل شرط كالعمل وقيل
شطر والإسلام اشرحن بالعمل

٣ - أن أهل الكتاب إن لم يقولوا الشهادتين فهم كفار، والإجماع منعقد على ذلك، فلم يخالف في ذلك أحدٌ من فرق المسلمين، فما يقوله بعض أهل الأهواء من أنهم ليسوا من الكفار لا أصل له في كلام أحد من الفرق الإسلامية، قال ابن دقيق العيد في إحكام الأحكام (١/ ٣٧٥): «والبداءة في المطالبة بالشهادتين: لأن ذلك أصل الدين الذي لا يصح شيء من فروعه إلا به.

فمن كان منهم غير موحد على التحقيق -كالنصارى- فالمطالبة متوجهة إليه بكل واحدة من الشهادتين عينًا. ومن كان موحدًا -كاليهود- فالمطالبة له: بالجمع بين ما أقر به

من التوحيد، وبين الإقرار بالرسالة. وان كان هؤلاء اليهود -الذين كانوا باليمن- عندهم ما يقتضي الإشراك، ولو باللزوم يكون مطالبتهم بالتوحيد لنفي ما يلزم من عقائدهم.

وقد ذكر الفقهاء: أن من كان كافرًا بشيء، مؤمنًا بغيره: لم يدخل في الإسلام إلا بالإيمان بما كفر به».

٤ - دلَّ على كُفر أهل الكتاب غير هذا الحديث أدلة كثيرة من الوحيين، والمسألة من المعلوم من الدين ضرورة، وسأكتفي من ذلك بخمسة أدلة كلها من القرآن:

أ - قوله تعالى: «مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ» (البقرة: ١٠٥)، ومن في الآية بيانية وليست تبعيضية.

ب - قوله تعالى: «يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ» (آل عمران: ٧٠).

ج - قوله تعالى: «وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ» (آل عمران: ٨٥).

د - قوله تعالى: «قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ» (آل عمران: ٩٨).

هـ - قوله تعالى: «وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» (آل عمران: ٧٢).

٥ - أورد بعض المبتدعين عددًا من الشبهات يستدل بها على أنهم ليسوا كفارًا منها:

أ - قوله تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» (البقرة: ٦٢).

وهذه الآية بلا خلاف بين أهل الإسلام في الموحدين من أهل الكتاب الذين لم يدركوا بعثة النبي صلى الله عليه وسلم.

ب - قوله تعالى: «لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ» (المائدة: ٨٢).

وهذه الآية لا تدل على ما ذهب إليه لأمرين:

الأول: أن ما احتج به من الآية ليس فيها أن النصارى ليسوا كفارًا.

الثانية: أنها فيمن أسلم منهم، ولو أكمل السياق بالآية التي تليها لتبين له هذا. قال تعالى: «وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ» (المائدة: ٨٣).

ولهذا قال القاضي عياض في الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢ /٢٨٦): «ولهذا نكفر من لم يكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل، أو وقف فيهم، أو شك، أو صحح مذهبهم، وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده واعتقد إبطال كل مذهب سواه فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك».

٦ - دل هذا الحديث على أن أول واجب في الإسلام هو الشهادتان، وأن معرفة الله تعالى شرعية وعقلية.

ودل هذا على بطلان قول بعض الأشعرية: إن أول واجب على العبيد هو المعرفة، أو النظر أو القصد إلى النظر، وجعلوا هذا كله من العقليات حتى إنهم لم يصححوا إيمان المقلد فاعتقدوا بذلك كفر جمهور المسلمين، وعندهم أن الأخذ فيها بالأدلة النقلية كالوحيين والإجماع تقليد، حتى قالوا: لا أثر للنقليات في العقليات، فإن المعتبر فيها الأدلة القاطعة - ويريدون بها الأدلة العقلية - فإذا انتصبت لم يعارضها شقاق، ولم يعضدها وفاق. (ينظر: الشامل في أصول الدين لأبي المعالي الجويني، فصل: فيمن اخترمته المنية أثناء النظر ص: ١٢٢).

وقد نافح عن هذا القول السنوسي في عقيدة أهل التوحيد الكبرى وأطال النفس، فانظر قوله في حواشي على شرح الكبرى للسنوسي بداية من (ص: ٣٩) إلى (ص: ٩٥)).

وتقرير هذه المسألة بهذه الطريقة من بقايا مذهب المعتزلة، قال الحافظ في فتح الباري (١٣/ ٣٤٩): «وقد وافق أبو جعفر السمناني -وهو من رؤوس الأشاعرة- على هذا، وقال: إن هذه المسألة بقيت في مقالة الأشعري من مسائل المعتزلة».

هذا ما يسره الله في هذه العجالة، والحمد لله رب العالمين.

معارف الوحي (٢)

منهج الاستدلال

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فلقد تكلمنا في المقال السابق عن معارف الوحي وما اشتمل عليه من تشريع وعلمنا أن التشريع جاء لحاجة الناس إليه، وهذا واقع ملموس محسوس.

ومن المقرر أن ما جاء به الشرع فيه ما هو بالعقل، وفيه ما هو بالنقل، وهذا واضح لمن يقرأ كتاب الله تعالى، لكن نجد أن طلب الدلالة على مسائل الشرع تختلف باختلاف المسائل نفسها.

إعداد أ. د. أحمد منصور سبالك

فالسلف الصالح - مثلاً- عندهم أساس منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد هو أن يكون الاستدلال شرعيًا في دلائله كما يكون شرعيًا في مسائله، وكما يقررون أنه لا توجد مسألة اعتقادية ليس لها دليل شرعي؛ فكذلك لا يمكن وجود مسألة اعتقادية لا تكون نصوص الكتاب والسنة كافية في الدلالة عليها.

وتقرر عند علماء الاعتقاد أنهم يقسمون المسائل العقدية إلى:

مسائل خبرية، ومسائل عقلية.

ومن هذا التقسيم يتبين عندهم:

أن الأولى مسائل لا يكون الاستدلال عليها إلا من جهة الخبر.

والثانية يكون الاستدلال عليها من جهة العقل.

ولهذا يسمون هذا التقسيم تقسيمًا باعتبار الاستدلال على المسائل لا بحسب المسائل نفسها.

فالمسائل الخبرية لا بد من ورود النص على إثباتها وبيان الدلالة عليها.

والمسائل العقلية الدلالة فيها تشتمل على الدلالة العقلية وان وردت في الشرع الحنيف.

ولهذا قالوا في المسائل الخبرية: مستندها التسليم وهو اليقين بأن ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون حقا لا مرية فيه، وذلك للدلالة القاطعة على نبوته، وعصمته فيما يُبلَغ عن الله تعالى.

ثم يأتي دور المسائل العقدية التي يمكن أن يستدل عليها بالعقل، فإن التسليم بها مع كونه هو مقتضى تصديق النبي صلى الله عليه وسلم كالمسائل الخبرية، إلا أن النصوص لا بد أن تتضمن الدلالة العقلية عليها؛ إذ ليست إخبارًا محضًا، بل أدلة نقلية عقلية، ويبنى على هذا الأصل وجوب التسليم بكل ما ثبت في القرآن والسنة، مع عدم إمكان التعارض بين النقل الصحيح والعقل الصريح، وبيان ما تضمنته الأدلة النقلية من الحجج

العقلية.

ومنهج السلف في هذا الباب أنهم لا يرون أمرًا يجب اعتقاده والإيمان به، لم ترد به النصوص، كما أنهم لا يرون النصوص الثابتة بدعوى التعارض بين العقل والنقل، بل لا يسلمون بإمكان التعارض من الأصل.

ولهذا كان منهجهم مخالفًا لمنهج المتكلمين في الاستدلال على مسائل الاعتقاد، فكانوا في مصدر التلقي الذي يقوم على أساس أن النصوص الشرعية هي الأصل في الاستدلال على مسائل الاعتقاد، وأنه لا يمكن أن تتعارض دلالتها مع الدلائل العقلية.

أما منهج المتكلمين على اختلاف طوائفهم- يقوم على نقيض ذلك، حيث يعتبرون الدلالة العقلية المحضة هي الأصل في الاستدلال، ثم ينظرون بعد ذلك في دلالة النصوص، فإن وافقت ما تقرر لديهم مع ما يسمونه (العقليات) أخذوا بها، لا لثبوتها وإنما لأجل موافقتها للأصول العقلية. وأما إذا خالفت تلك الأصول فإنهم يؤولون النصوص لتوافقها إذا أمكن التأويل، أما إذا لم يمكن، فعندهم أنه لا بد من تفويضها، ومعنى ذلك إبطال معناها الظاهر المخالف لأصولهم العقلية واعتبارها من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

ولقد لخص الإمام الرازي إمام المتكلمين منهجهم في ذلك بقانون في أساسه- أساس التقديس- يقوم على أصول ثلاثة:

الأول: إمكانية التعارض بين العقل والنقل.

الثاني: تقديم العقل على النقل عند التعارض.

الثالث: تأويل النقل بما يوافق العقل عند التعارض إن أمكن، وإن لم يمكن لزم التفويض حتى تسلم دلالة العقل عن المعارضة.

فأما الأصل الأول: فقد بنوه على اعتقادهم بأن ما أحدثوه من الدلائل والمسائل في أصول الدين أمور قطعية، ثم قسموا تلك المسائل إلى مسائل الاستدلال عليها يكون بدليل العقل، وبحيث لا يمكن الاستدلال عليه بدليل النقل، وإلى ما يكون دليله نقليًا لكن لا يقبل إلا بشرط إمكانه عقلاً، وإلى ما يمكن الاستدلال عليه بالعقل والنقل معًا. وقاموا تبعًا لذلك بالتفرقة في مسائل الاعتقاد بين العقليات والسمعيات حسب تعبيرهم. وحاصل هذا التقسيم أن العقليات هي أصل السمعيات، وعليه يكون أصل الدين غير وارد في النقل، وإنما يتوقف اعتقاده على الاستدلال العقلي.

وإذا ثبت ذلك بادعاء نفي التعارض فيلزم من ذلك أن الله تعالى أوحى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم ما يقتضي التشبيه، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بلَغ الأمة ما يُوقعها في التشبيه ولم يبين لهم ذلك، وأن الصحابة رضي الله عنهم والأئمة من بعدهم قد اعتقدوا ما تدل عليه ظواهر تلك النصوص، وأنه لم يسلم من التشبيه إلا المتكلمون.

وأما الأصل الثاني الذي قدَموا فيه العقل على النقل عند التعارض فيقوم على أساس أن العقل هو المعتبر عندهم في الدلالة على المسائل العقدية، وبه يحكم على صحة النقل، وترتب على ذلك عندهم أن النقل إذا دلَ على خلاف ما ثبت بالعقل من تلك الأصول لم يمكن القول بمقتضاه؛ لأن ذلك يؤدي إلى القدح في تلك الأصول العقلية، وإذا كانت تلك الأصول باطلة، لزم بطلان ما قام عليها وهو السمع، فيكون إبطال ما دل عليه العقل ردًا لدلالة العقل والنقل معًا.

فإذا لم يمكن إثبات ما دل عليه العقل والنقل معًا، أو ردها معًا عند التعارض ولا القول بدلالة النقل وإبطال دلالة العقل؛ لزم إثبات ما دل عليه العقل وتقديمه على دلالة النقل.

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقولهم باستقلال العقل في الدلالة على أصول الاعتقاد، إنما يقوم على اعتبار أن دلالة النقل خبرية محضة، وأن التسليم بدلالة النصوص الشرعية إنما يستند إلى تصديق النبي صلى الله عليه وسلم في الإخبار بها، ومعلوم أن من النصوص ما يستند التسليم بها إلى نصوص بقول النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا فيما يتعلق بالحقائق الغيبية المحضة التي لا يمكن العلم بها إلا بدلالة الوحي، لكن المطالب التي يمكن أن يدل عليها العقل لا بد أن يرد في النصوص

ما يتضمن الدلالة العقلية عليها، بحيث لا تكون خبرية محضة، وهذا ثابت باستقراء تلك المطالب». اهـ.

ومعلوم أن القول: بأن العقليات أصل النقليات يقتضي أن دلالة النصوص الشرعية لا تقبل بمجرد ثبوت النص، بل لا بد مع ذلك من إمكان دلالتها عقلاً، وهذا يتناقض مع أصل التسليم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما الأصل الثالث عندهم والذي فيه أنه لا بد من تقديم العقل على النقل من تأويل النصوص المخالفة لأصولهم إذا أمكن التأويل أو لا بد من تفويض معانيها.

فالغاية من ذلك أن تكون أصولهم العقلية سالمة من معارضة النصوص، إما بصرفها عن معانيها الظاهرة إلى معان توافق أصولهم، واما باعتقاد أن تلك النصوص من المتشابه الذي لا يعلم معناه إلا الله تعالى.

ولهذا حكموا على النصوص التي يثبت عليها ذلك أنها ظنية إما في ثبوتها أو في دلالتها، مثل كلامهم في خبر الواحد وغيره. وهؤلاء تغافلوا أن الله قد أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم ما لا يمكن التحقق من مراد الله به، وقد بلغ الأمة ألفاظا لم يبين معانيها، وأن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يعلمون المراد من نصوص الكتاب والسنة، ونقلوا إلينا ألفاظا محتملة لمعاني متباينة، وكل هذا مما يعلم بطلانه بالضرورة، ولهذا قد وصف الله تعالى كلامه بأنه مبين في أكثر من مرة؛ حيث قال: «وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ» (البقرة: ٩٩).

واذا كان في القرآن ما يحتاج لبيان، فإن الله تعالى أعطى السنة لرسولنا صلى الله عليه وسلم ليبين هذا؛ حيث قال: «وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» (النحل: ٤٤).

وغير هذا على النحو الكثير من الآيات في القرآن، وبيان الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن ليس مجرد تبليغه كما أنزل وحسب، وانما بيان معانيه بحيث لا يكون في القرآن ما يحتاج إلى بيان إلا وقد بينه صلى الله عليه وسلم، وقد كان الصحابة الكرام رضي الله عنهم يفهمون المراد من نصوص الكتاب والسنة، ولم يؤثر على أحد منهم أنه غاب عنه ذلك، وكانوا يتدارسون القرآن ويتعلمون تفسيره، وأخذ منهم التابعون ذلك أيضا، وكان الجميع لا يرددون شيئا من ذلك بالتأويل عن معانيها الظاهرة، ولم يلزموا أنفسهم بالتشبيه كما فعل المتكلمون، فكان مبدأهم في إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية، ولم يقولوا هنا: إن المتأولة إنما أخذ بأحد المعاني المحتملة في اللغة فيكون تأويله سائغا، بل لا بد من الأخذ بظاهر النصوص والالتزام بالبيان النبوي لها، وما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم، ومن خالف في ذلك فليعلم أنه على غير هذا الطريق.

جعلنا الله واياكم من السائرين على درب الصحابة والتابعين وسائر السلف الصالح. اللهم آمين.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه.

مطلوب مدخل بيانات
لموقع المجلة الإلكتروني
إرسال السيرة الذاتية على واتساب:
01005007151

Data Entry
Shift
Backspace
Insert
Delete
Home
Page Up

باب السنة

الحلقة الثانية

مرض الغلو بين خوارج الماضي ومرضى العصر

إعداد أ.د. مرزوق محمد مرزوق

نائب المشرف العام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الكريم وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد: فإن من دلائل النبوة وأسباب زيادة الإيمان ما يراه الناس الآن من تعدٍّ على جناب الإسلام بأي نوع من الأنواع سواء بزيادة أو بإنكار أو تبديل أو نقصان؛ إذ كل ذلك قد أخبر به النبي العدنان لما يُستقبل من الزمان العاجل منه والآجل. وإنه على ما بقلوب المؤمنين لهذا من كلوم غير أنهم لإيمانهم زيادة ولراياتهم بشارة، ومن ذلك ما كان من حديث ذي الخويصرة المشهور

ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

بيْنما نحْنُ عِنْدَ رَسولِ اللَّه صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وهو يَقْسِمُ قَسْمًا، أتَاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ -وهو رَجُلٌ مِن بَنِي تَمِيمٍ- فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، اعْدِلْ، فَقالَ: ويْلَكَ! ومَن يَعْدِلُ إذا لَمْ أعْدِلْ؟! قدْ خِبْتَ وخَسِرْتَ إنْ لَمْ أكُنْ أعْدِلُ. فَقالَ عُمَرُ: يا رَسولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لي فيه فأضْرِبَ عُنُقَهُ؟ فَقالَ: دَعْهُ، فإنَّ له أصْحَابًا يَحْقِرُ أحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مع صَلَاتِهِمْ، وصِيَامَهُ مع صِيَامِهِمْ، يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إلى نَصْلِهِ فلا يُوجَدُ فيه شيءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إلى رِصَافِهِ، فَما يُوجَدُ فيه شيءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إلى نَضِيِّهِ -وهو قِدْحُهُ- فلا يُوجَدُ فيه شيءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إلى قُذَذِهِ فلا يُوجَدُ فيه شيءٌ، قدْ سَبَقَ الفَرْثَ والدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أسْوَدُ، إحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أوْ مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، ويَخْرُجُونَ علَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ.

قالَ أبو سَعِيدٍ: فأشْهَدُ أنِّي سَمِعْتُ هذا الحَدِيثَ مِن رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وأَشْهَدُ أنَّ عَلِيَّ بنَ أبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وأنَا معهُ، فأمَرَ بذلكَ الرَّجُلِ، فَالْتُمِسَ فَأُتِيَ به، حتَّى نَظَرْتُ إلَيْهِ علَى نَعْتِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ الذي نَعَتَهُ.

أولا: العزو موجزا إلى الكتب الستة:

أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) وأخرجه وابن ماجه (١٧٢) مختصرًا.

ثانيا: الشرح:

هذا حديث من دلائل النبوة وتشخيص وعلاج لداء عضال من أمراض الأمة إذ ذكر النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلَّم أنه سيخرُجُ بعدَه أقوام يُقاتلونَ أهلَ الإسلام، وبين لنا من صفاتهم وعلاماتهم ما يعالج فتنتهم ويرد مكيدتهم.

وفي هذا الحديث يَحكي أبو سَعيدٍ الخُدريُّ رَضيَ اللهُ عنه أنَّهم بيْنما هُم مع رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وهو يَقسِمُ قَسْمًا، وقد بيَّنت روايةُ الصَّحيحين أنَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنه بعَث من اليمَن إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بذُهَيْبةٍ؛ وهي القطْعةُ منَ الذَّهبِ، وكانت ممَّا أخَذه عليٌّ رَضيَ اللهُ عنه من زَكَواتِ أهلِ اليمَنِ، فقسَمها صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بيْن أربعةِ نفَرٍ: الأقْرعِ بنِ حابسٍ الحَنظَليِّ المُجاشِعيِّ، وعُيَيْنةَ بنِ بَدرٍ الفَزاريِّ، وزَيدٍ الطَّائيِّ، وعَلْقمةَ بنِ عُلاثةَ العامريِّ، وهم رُؤساءُ في أقوامِهم، وقد كانوا حَديثي عهدٍ بكُفرٍ، فتألَّفهمُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بهذا المالِ؛ ليَثبُتوا على الإسلامِ، فيَثبُتَ قومُهم معهم، فلمَّا خصَّهمُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بهذا العطاءِ، غضِب بعضُ النَّاسِ، وفي هذا الوقتِ أتاه ذو الخُوَيصِرةِ، واسمُه حُرْقوصُ بنُ زُهَيرٍ، وهو رَجلٌ من بَني تَميمٍ، فقال: يا رَسولَ اللهِ، اعدِلْ في القِسمةِ، وهذا قولٌ يدلُّ على جهل وقلة فقه على أرحم تقدير في الحكم عليه، إذ الجرأة على جناب النبي عليه الصلاة والسلام واتهامه بعدم العدل في عينها كفر ولولا أن يعذر صاحبها بجهل رحمة به لكان من الهالكين.

لذا غضب صلى اللهُ عليه وسلَّم، وقال للرَّجلِ: «ويْلَك! ومَن يَعدِلُ إذا لم أعدِلْ؟!» إذ النبي هو أولى الناس بالعدل وأبعد الخلق عن الظلم والبغي ولذلك قال له النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «قد خبتَ وخسرتَ إنْ لم أكنْ أعدلُ»، وفي روايةٍ في الصَّحيحين: «مَن يُطعِ اللهَ إذا عَصيتُ؟!».

«فقال عُمرُ رَضيَ اللهُ عنه: يا رَسولَ اللهِ، ائْذَنْ لي فيه، فأضرِبَ عُنقَه»، فمنَعه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم من قتله تأليفًا لغيره، وأخبَر أنَّ له أصحابًا يَحقِرُ -أي: يَستقِلُّ- أحدُكم صَلاتَه معَ صَلاتِهم، وصِيامَه مع صيامِهم، يقرؤون القُرآنَ لا يُجاوزُ تَراقيَهم، جمعُ تَرقُوة، وهي العظمُ ما بيْن ثُغرةِ النَّحرِ والعاتقِ، وفي روايةٍ في الصَّحيحين: «إنَّ من ضِئْضِئِ هذا -أي: من خصيته ونسله أو في عقبه- قومًا يقرؤون القرآنَ لا يُجاوِزُ حَناجرَهم»، يُريدُ أنَّ قراءتَهم لا يَرفعُها اللهُ ولا يَقبَلُها؛ لعِلمِه باعتقادِهم، أو أنَّهم لا يَعمَلونَ بها، فلا يُثابونَ عليها، أو ليس لهم فيه حظٌّ إلَّا مُرورُه على لسانِهم، فلا يَصِلُ إلى حُلوقِهم، فضلًا عن أنْ يصِلَ إلى قُلوبِهم؛ لأنَّ المَطلوبَ تعقُّلُه وتدبُّرُه؛ لوقوعه في القلب.

«يمرُقون»، أي: يَخرُجونَ سَريعًا من دينِ الإسلامِ من غيرِ حظٍّ ينالُهم منه، كما يَمرُقُ السَّهمُ من الرَّميَّةِ، فشبَّه مُروقَهم وخُروجَهم من الدِّينِ بالسَّهمِ الَّذي يُصيبُ الصَّيدَ، فيَدخُلُ فيه ويَخرُجُ من النَّاحيةِ الأُخرى، ولشدَّةِ سُرعة

خُروجه لا يَعلَقُ بالسَّهم من جسد الصَّيد شيءٌ، ثمَّ يُنظَرُ إلى «نصله»، وهي حديدةُ السَّهم، فلا يُوجَدُ في النَّصل شيءٌ من دم الصَّيد ولا غيره، ثمَّ يُنظَرُ إلى «رصافه»، وهو عَقَبٌ يُلْوى فوق مَدخل النَّصل أو السَّهم، فما يُوجَدُ فيه شيءٌ، ثمَّ يُنظَرُ إلى «نَضيِّه»، وهو عودُ السَّهم قبْلَ أنْ يُراشَ ويُنصَلَ، أو هو ما بيْنَ الرِّيش والنَّصل، وسُمِّي بذلك؛ لأنَّه بُرِيَ حتَّى عاد نضْوًا، أي: هزيلًا، فلا يُوجَدُ فيه شيءٌ، ثمْ يُنظَرُ إلى «قُذذه»، جمعُ قُذَّة: الرِّيش الَّذي على السَّهم، فلا يُوجَدُ فيه شيءٌ.

قدْ سبَقَ السَّهمُ «الفَرْثَ»، وهو ما يَجتمِعُ في الكَرِش، «والدَّمَ» فلم يَظهَرْ أثَرُهما فيه، بلْ خَرجا بعْدَه، وكذلك هؤلاء لم يتعلَّقوا بشيءٍ من الإسلام، وهذا نَعتُ الخوارج الَّذين لا يَدينون للأئمَّة، ويَخرُجون عليهم.

«وآيتُهم»، أي: علامتُهم الَّتي يُعرَفون بها إذا ظَهروا، أو عندَ أول ظُهورٍ لهم: أنَّه يكونُ فيهم رجلٌ أسْوَدُ إحدى «عَضُدَيْه» -وهو ما بيْنَ المرْفق إلى الكتف- مثلُ ثَدْيِ المرْأة، أو قال: مثلُ البَضْعة، وهي القطْعةُ من اللَّحْم. «تدَرْدَرُ»، أي: تتحرَّكُ وتذهبُ وتجيءُ، ويَخرُجون على حينِ فُرقةٍ، أي: في زمان افْتراقٍ من النَّاس، وهو زمانُ عليِّ بن أبي طالبٍ وأصْحابه رَضيَ اللهُ عنهم.

ثم قال أبو سعيد الخُدْريُّ رَضيَ اللهُ عنه: فأشهدُ أنِّي سمعتُ هذا الحَديثَ من رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وأشهَدُ أنَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ رَضيَ اللهُ عنه قاتَلَ خوارجَ عصره، وكانوا بهذه الصِّفة، وأنا معه بالنَّهْروان سنةَ (٣٨هـ)، وهي منطقةٌ بالقُرب من بَغدادَ في العراق، فأمَرَ عليٌّ رَضيَ اللهُ عنه أنْ يُبحَثَ المُقاتلونَ عن ذلك الرَّجل الَّذي قال فيه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «إحْدى عَضُدَيْه مثلُ ثَدْيِ المرْأة»، فطُلِبَ في القتْلى، فوجدوه، فأتَوا به. ورآه أبو سعيدٍ رَضيَ اللهُ عنه على الصِّفة التي وصَفَه بها النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ. (وينظر: كتاب عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٦/١٤٣)، وكتاب دليل الفالحين شرح رياض الصالحين (١/١٨٦).

ثالثا: بعض ما يستفاد من الحديث:

في الحديث قاسم يشترك فيه كل خارجي مع نظيره قديمًا وحديثًا وهو مرض العجب المفضي بهم للغلو. فبين الغالين من غلاة التفجير وغلاة التجريح وغلاة المعادين للسنة وغلاة المعارضين لما أجمع عليه سلف الأمة بين هؤلاء جميعًا وغيرهم من الغالين على تناقض ظواهرهم وربما إنكارهم على بعضهم بل والتنافر الشديد أحيانًا بينهم نجد بينهم جميعًا مرضًا مشتركًا متوطنًا يسفر عن عجب بما يفهمون وعن غلو فيما يعتقدون وكيف يفكرون ويحكمون ويقررون؛ إذ الغلو بوابة كل شر مهما حسنت النوايا -وذلك على أحسن الظنون بهؤلاء أهل الرزايا- فلولا الغلو ما وقع المشركون في شركهم حين غالوا في الصالحين بحسن نية فصرفوا من العبادة مما هو حق خالص لله إليهم، ولولا الغلو ما خرج من خرج على أمير المؤمنين رابع الخلفاء الراشدين

علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقتله وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، ولولا الغلو ما خرج الناس عمومًا على الأمراء والعلماء وأولياء أمورهم، ثم لولا الغلو في عصرنا الحاضر ما رأينا هذه الفئات المريضة من البشر والتي يجمع بينها صفة نفسية سلوكية مركبة في نفوسهم هي عقيدتهم بصحيح فهمهم وعميق ذكائهم، وهذه العقيدة المرضية يسفر عنها سلوك عنوانه غلو في كل ما يسلكون فنصبوا أنفسهم حكامًا على العامة والخاصة، بل وعلى العلماء والأمراء والأولياء، ثم ترتب على غلوهم وأحكامهم وما منحوه من حق لنفوسهم، ترتب عليه سلوك آخر هو أجرم وأشنع من تفسيق وتبديع وتجريح وتدمير وتحريق؛ فرأينا منهم للبلدان تخريبًا، وللعباد تجريحًا على اختلاف مشاربهم ومواردهم وتناقض ظواهرهم ومآربهم، لكنهم يشتركون في قاسمهم، وهو ما أسلفنا من العجب المفضي للغلو. وفضلاً عن كونه مرضًا نفسيًا فهو كذلك مكتسب لجهل حتمي فلا يبالون بعواقب أقوالهم وأفعالهم!!!

ولا يفهمون كلام العلماء فينسبون إليهم ما ليس من مذاهبهم؛ قال شيخ الإسلام - رحمه الله - في رده على من أطلق الهجْر وعدمه: " وكثير من أجوبة الإمام أحمد وغيره من الأئمة، خرج على سؤال سائل قد علم المسئول حاله، أو خرج خطاباً لمعيَّن قد عُلم حاله، فيكون بمنزلة قضايا الأعيان الصادرة عن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، إنما يثبت حُكْمُها في نظيرها، فإن أقواماً جعلوا ذلك عاماً" مجموع الفتاوى (٢١٣/٢٨).

وكذلك من قواسمهم وأمراضهم نصب العداء بغير سبب وإصدار أحكام بغير علم فيصنفون خلق اللين تمييعًا والحكمة تلونًا، ويعدون العفو سيئة والسيئة كفرًا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى- كما في "مجموع الفتاوى (٧٣/١٩) مبينًا بعض أصول أهل البدع: " وهذا أصل البدع التي ثبت بنص سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وإجماع السلف أنها بدعة :هو جَعْل العفو سيئة، وجعل السيئة كفْرًا، فينبغي للمسلم أن يحْذر من هذين الأصليْن الخبيثين، وما يتولد عنهما من بُغْض المسلمين، وذمِّهم، ولعْنهم، واستحلال دمائهم وأموالهم".

ثم رأينا من تأصيلهم لغيهم رأينا بذلهم من الجهد والمال والجاه في التشنيع على المخالف، ومحاولة إسقاطه بأي وسيلة، حتى خرج النزاع -في كثير من الأحوال- عن كونه ابتغاء مرضاة الله، والانتصار لحرمات الله؛ إلى انتصار للنفس والهوى مما يعجب منه عصاة المسلمين، فضلاً عن الطائعين ويفرح له المخالفون فضلاً عن غير المسلمين (وينظر كتابي: القواسم المشتركة بين غلاة التفجير والتجريح، والتوضيح في نصح غلاة التجريح).

فالله الله يا هؤلاء تعالوا إلى كلمة سواء، هذا إن كنتم في التوبة ترغبون، وللجنة تسعون، وللحديث صلة إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

سرية نخلة

إعداد د/ سيد عبد العال

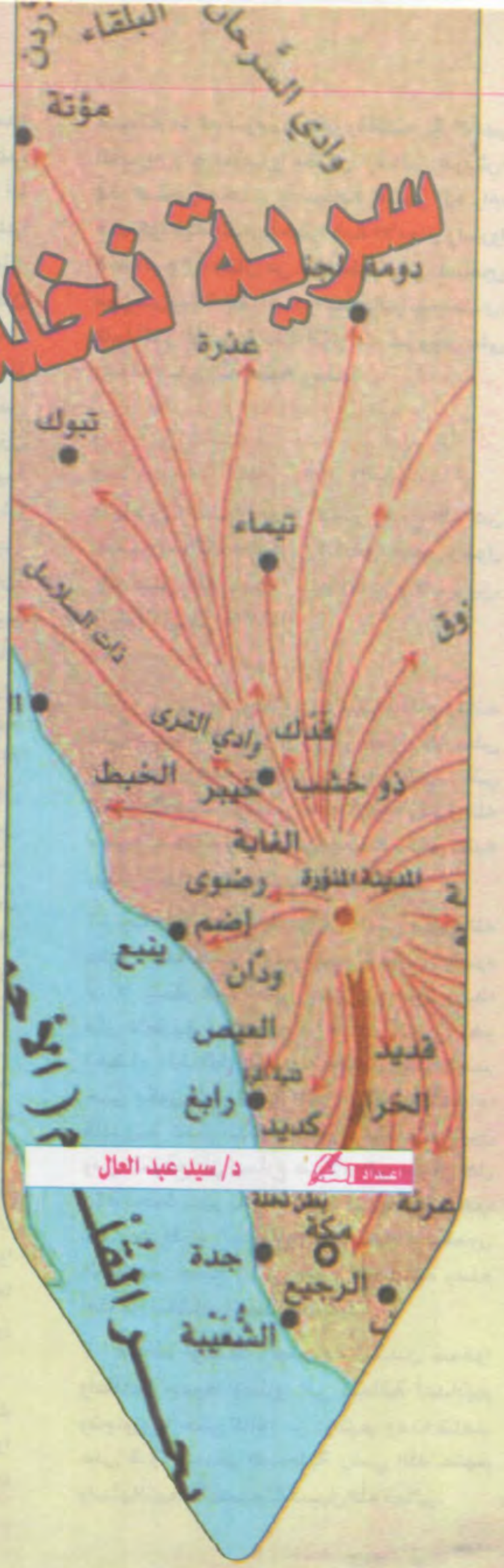
مؤتة
وادي السرحان
البلقاء
دومة الجندل
عذرة
تبوك
تيماء
ذات السلاسل
فدك
وادي القرى
الخبط
خيبر
ذو خشب
الغابة
المدينة المنورة
رضوى
إضم
ينبع
ودان
العيص
قديد
رابغ
الخرار
كديد
بطن نخلة
عرنة
مكة
جدة
الرجيع
الشعيبة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج في الغزوات ويبعث السرايا والبعوث؛ وكان من ذلك سرية نخلة، وهي موضوعنا في هذا العدد.

اسمها: سرية نخلة في رجب سنة ٢هـ الموافق يناير سنة ٦٢٤م، وتسمَى بسريَة الأشهر الحرم، وتسمَى أيضًا بسريَة عبد الله بن جحش. (إنارة الدجى: ٣٩).

سياق السرية:

عن جندب بن عبد الله "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رهطًا، وبعث عليهم أبا عبيدة؛ فلما أخذ لينطلق؛ بكى صبابةً- محبةً واشتياقًا- إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فبعث رجلاً مكانه يقال له: عبد الله بن جحش؛ وبعث معه بثمانية رهط من المهاجرين، وكتب له كتابًا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه؛ فيمضي لما أمره ولا يستكره من أصحابه أحدًا- وذكر أسماءهم؛ فالأمير عبد الله بن جحش، ومعه عكاشة بن محصن وعتبة بن غزوان وسعد بن أبي وقاص وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن البكير وسهيل بن بيضاء- .

فلما سار عبد الله بن جحش يومين؛ فتح الكتاب ونظر فيه؛ فإذا فيه: إذا نظرت في كتابي هذا؛ فسر حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف؛ فترصد بها قريشًا، وتعلَم لنا من أخبارهم ولم يأمره بقتالٍ؛ فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب؛ قال: سمعًا وطاعة؛ ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن أمضي إلى نخلة: فأرصد بها قريشًا؛ حتى

آتيه منهم بخبر، وقد نهاني: أن أستكره أحدًا منكم؛ فمن كان منكم يريد الشهادة، ويرغب فيها؛ فلينطلق ومن كره ذلك؛ فليرجع، أما أنا فماضٍ لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فمضى ومضى معه أصحابه؛ فلم يتخلف عنه منهم أحد. وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له: بُحران؛ أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرًا لهما كانا عليه يعتقبانه؛ فتخلفا عليه في طلبه ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة؛ فمرت به عير لقريش تحمل زبيبًا وأدمًا فيها منهم عمرو بن الحضرمي، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزوميان، والحكم بن كيسان، فلما رآهم القوم؛ هابوهم وقد نزلوا قريبًا منهم؛ فتشاور القوم فيهم؛ فقال القوم: والله لئن تركتم القوم هذه الليلة؛ ليدخلن الحرم؛ فليمتنعن به منكم، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام؛ فتردد القوم؛ فهابوا الإقدام عليهم؛ ثم شجُعوا عليهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم؛ فرمى واقد بن عبد الله التميمى عمرو بن الحضرمي بسهم؛ فقتله، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان، وأفلت نوفل بن عبد الله؛ فأعجزهم، وقدم عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة.

وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش: أن عبد الله بن جحش قال لأصحابه: إن لرسول الله صلى الله عليه وسلم خمس ما غنمتم وذلك قبل أن يفرض الخمس من الغنائم؛ فعزل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خمس العير، وقسم سائرها على أصحابه؛ فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام"؛ فوقف العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئًا.

فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك سُقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا وعنفهم المسلمون فيما صنعوا وقالوا لهم: صنعتم ما لم تؤمروا به، وقاتلتم في الشهر الحرام ولم تؤمروا بقتال، وقالت قريش: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام؛ فسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال وأسروا فيه الرجال؛ فقال من يرد عليهم من المسلمين ممَن كان بمكة: إنما أصابوا ما أصابوا في جمادى؛ فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله عزَّ وجلَّ على رسوله صلى الله عليه وسلم: « يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ » البقرة: ٢١٧.

فلما نزل القرآن بهذا الأمر وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق؛ قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسيرين. (رواه الطبراني: ١٦٧٠).

الدروس والعبر:

١- أبو عبيدة رضي الله عنه سمع وأطاع، ولكنه بكى حرصًا منه على القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فتأمل حرارة الشوق التي أبكت أبا عبيدة، وتصور حبه لملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي جعلته يشفق عليه ويبقيه جواره؛ ليبعث بطلاً آخر.

٢- جاء في هذا الخبر: أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب لأمير السرية كتابًا، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين، وهذا مثل لتطبيق مبدأ مهم من مبادئ الحرب وهو إخفاء الخطط الحربية ومنها خط السير حتى يكون الجيش في أمان من كيد الأعداء؛ فالمدينة كانت آنذاك تضم اليهود والوثنيين ومن المتوقع: أن يسارع هؤلاء إلى إخبار أهل مكة بخط سير تلك السرية الموجهة ضدهم؛ فلما سار أفراد السرية وهم أنفسهم لا يعلمون اتجاههم؛ أصبح النبي صلى الله عليه وسلم آمنًا من انكشاف الهدف المقصود.

٣- موقف أولئك الصحابة الذين سمعوا وأطاعوا جميعًا وساروا إلى منطقة أعدائهم وتجاوزوها حتى كانوا من ورائهم، وهذا شاهد على قوة إيمان الصحابة رضي الله عنهم واستهانتهم بأنفسهم في سبيل الله تعالى.

٤- التشويه الإعلامي منذ القدم: ففي هذا الخبر عبرة للمسلمين بما قام به المشركون من تشويه إعلامي خطير لسمعة المسلمين حيث شهروا بهم فيما جرى من أصحاب تلك السرية من القتل وأخذ الأموال والسبي في الشهر الحرام وقد كان ذلك في آخر يوم من شهر رجب... والكفار عادة يغتنمون كل فرصة لتشويه سمعة المسلمين، فحينما ظفر كفار مكة بهذه المخالفة التي تعني انتهاكًا لأمر يقدسه العرب اغتنموا ذلك للتشهير بالمسلمين، وقد طمعوا من خلال هذا الاتهام في أن يضعفوا من مكانة المسلمين وأن ينفّروا الناس من قبول دعوة الإسلام، ولقد حصل التساؤل من المسلمين فيما صنع أصحاب تلك السرية، ولاموا إخوانهم على ما حدث ونزل القرآن في بيان هذا الأمر وفي الرد على مقاتلة المشركين وذلك في قوله تعالى: «يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه....» الآية.

٥- كَيل المشركين بمكيالين في هذه القصة: قال المباركفوري: فقد صرّح هذا الوحي بأن الضجة التي افتعلها المشركون لإثارة الريبة في سيرة المقاتلين المسلمين لا مساغ لها؛ فإن الحرمات المقدسة قد انتُهكت كلها في محاربة الإسلام، واضطهاد أهله، ألم يكن المسلمون مقيمين بالبلد الحرام حين تقرر سلب أموالهم وقتل نبيهم؟ فما الذي أعاد لهذه الحرمات قداستها فجأة؛ فأصبح انتهاكها معرة وشناعة؟ لا جرم أنّ الدعاية التي أخذ ينشرها المشركون دعاية تُبتنى على وقاحة.

٦- في هذا الخبر نموذج من حرص النبي صلى الله عليه وسلم على جنود المسلمين؛ حيث أجل فداء الأسيرين من المشركين حتى عودة ذينك الصاحبين اللذين تخلفا عن سرية المسلمين، وهدد بقتل أسيري المشركين فيما لو قتلوا ذينك الصحابيين، وفي هذا ضمان لسلامتهما؛ حيث إنه من المظنون بكفار مكة أن يقتلوا الصحابيين لو ظفروا بهما. (الرحيق المختوم: ص١٨١).

٧- براءة الشريعة من الأخطاء الفردية التي لم يقع بها الأشخاص؛ فسواء قتل ذلك المشرك في جمادى أو في رجب أو في رمضان؛ فرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمر بذلك إنما هي حماسة المهاجرين المقهورين المطرودين من ديارهم وأموالهم ولا ذنب لهم سوى أن يقولوا لا إله إلا الله، فلم يتمالكوا أنفسهم- وهم بشر- عندما رأوا أموالهم التي غصبتها قريش واغتصبتها تسيل أمامهم تجارةً تنمو بين أيدي المشركين وهم الحفاة الذين تشققت أقدامهم من العوز والفقر، وأضناهم الجوع والتعب.

فتأمل حال سعد وعتبة وهما ينطلقان على جملٍ واحد يركب هذا مرة وهذا مرة، أما الآن فلا جمل لهما، لقد ندّ وهرب وهما يركضان على أقدامهما المتشققة خلفه يذرعان بطون الأودية والشعاب ولا أحد غير الله يعلم ما سيحدث لهما

٨- العدل والإنصاف: قال ابن القيم: والمقصود: أن الله سبحانه حكم بين أوليائه وأعدائه بالعدل والإنصاف، ولم يبرّئ أولياءه من ارتكاب الإثم بالقتال في الشهر الحرام، بل أخبر: أنه كبير وأن ما عليه أعداؤه المشركون أكبر وأعظم من مجرد القتال في الشهر الحرام، فهم أحق بالذم والعيب والعقوبة، لا سيما وأولياؤه كانوا متأولين في قتالهم ذلك. (زاد المعاد: ٣/١٥٢).

وبعد ذلك أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سراح الأسيرين، وأدّى دية المقتول إلى أوليائه. (الرحيق المختوم: ص١٨١).

١٠- صحة الرواية بالمناولة: قال البخاري في صحيحه: واحتج بعض أهل الحجاز في المناولة بحديث النبي صلى الله عليه وسلم حيث كتب لأمير السرية كتابا وقال: "لا تقرأه حتى تبلغ مكان كذا وكذا"؛ فلما بلغ ذلك المكان قرأه على الناس، وأخبرهم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم. (صحيح البخاري: ١/٢٣).

والحمد لله رب العالمين.

أحكام متعلقة بفقه النكاح

المحرمات من النساء

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فقد تحدثنا في المقالة السابقة عن سن الرضاع وعن رضاع الكبير، ونستكمل بعض الأحكام المتعلقة بفقه النكاح، سائلين الله عز وجل أن يتقبل جهد المقل، وأن ينفع به المسلمين.

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

أولاً: المحرمات بسبب المصاهرة:

ذكر الله تعالى في كتابه العزيز المحرمات من النساء بسبب المصاهرة.

فقال تعالى: «وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ» (النساء: ٢٢).

وقال تعالى: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ»، إلى أن ذكر المحرمات بالمصاهرة في قوله تعالى: «وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا» (النساء: ٢٣).

المحرمات بسبب المصاهرة تحريمًا مؤبدًا أربع:

١- زوجة الأب.
٢- زوجة الابن.
٣- أم الزوجة.
٤- ابنة الزوجة.

الأولى: زوجة الأب:

يحرم على الرجل الزواج من زوجة أبيه، سواء كان الأب من نسب أو رضاع. قال تعالى: «وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ» (النساء: ٢٢).

وسبب نزول الآية كما أخرجه الإمام الطبري من حديث ابن عباس أنه قال: «كان أهل الجاهلية يحرمون ما يحرم، إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين، قال: فأنزل الله: «ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء» الآية. (صحيح: قال العلامة مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله-: الحديث رجاله رجال الصحيح إلا محمد بن عبد الله المخرمي وهو ثقة - الصحيح المسند من أسباب النزول. ص: ٧٦).

وهذا مجمع عليه عند أهل العلم.

الثانية: زوجة الابن:

لقول الله تعالى: «وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ» (النساء: ٢٣).

قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٥/١٢٠): الحلائل: جمع حليلة وهي الزوجة، سميت حليلة لأنها تحل مع الزوج حيث حل... وذهب الزجاج وقوم إلى أنها من لفظة الحلال، فهي حليلة بمعنى محللة، وقيل: لأن كل واحد منهما يحل إزار صاحبه، ثم قال: أجمع العلماء على تحريم ما عقد عليه الآباء على الأبناء وما عقد عليه الأبناء على الآباء، كان مع العقد وطء أو لم يكن... واستدل بقول الله تعالى كما تقدم.

الثالثة: أم الزوجة:

يحرم على الرجل كل أم امرأة تزوجها سواء كانت أمها بالنسب أو بالرضاع، وهذا التحريم من وقت العقد سواء دخل بالزوجة أم لم يدخل، وهذا مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم، وحجتهم قول الله تعالى: «وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ» (النساء: ٢٣).

وخالف علىَ الجمهور، فقال: لا تحرم على الرجل أم الزوجة إلا بعد الدخول بابنتها، ومذهب الجمهور أولى لأن التحريم جاء في الآية مطلقًا.

جاء في الجامع لأحكام القرآن (٥/١١٨): فأما المرأة تحرم بمجرد العقد الصحيح على ابنتها على ما تقدم.

قال الكاساني في بدائع الصنائع (٢/٣٨٤): في ثنايا كلامه عن المحرمات بالمصاهرة... فكان معنى قوله: «وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ» (النساء: ٢٣)، أي وحرمت عليكم أمهات نسائكم وأنه مطلق على شرط الدخول، فمن ادعى أن الدخول المذكور في آخر الكلمات منصرف إلى الكل فعليه الدليل.

جاء في بداية المجتهد ونهاية المقتصد (٣/٥٧): وأما المحرمات بالمصاهرة فإنهن أربع: زوجات الآباء، والأصل فيه قوله تعالى: «وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ» (النساء: ٢٢) الآية.

قال الماوردي في الحاوي (٩/١٩٩): المنصوص على تحريمهن في الآية خمس حرمهن الله تعالى تحريم مصاهرة بعقد نكاح، إحداهن أم الزوجة بقوله: «وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ».

جاء في المغني (٦/٣٩٩): تحريم المصاهرة، والمنصوص عليه أربع: أمهات النساء، فمن تزوج امرأة حرم عليه كل أم لها من نسب أو رضاع، قريبة أو بعيدة بمجرد العقد نص عليه أحمد.

وهو قول أكثر أهل العلم منهم ابن مسعود وابن عمر وجابر وعمران بن حصين وكثير من التابعين، وبه يقول مالك والشافعي وأصحاب الرأي، وحكي عن علي رضي الله عنه أنها لا تحرم إلا بالدخول بابنتها كما لا تحرم ابنتها إلا بالدخول.

ولنا: قول الله تعالى: «وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ» والمعقود عليها من نسائه فتدخل أمها في عموم الآية.

جاء في المحلى (٩/١٤١): وأما أمها فيحرمها عليه بالعقد جملة، قال تعالى «وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ» فأجملها عز وجل فلا يجوز تخصيصها.

الرابعة: ابنة الزوجة:

يحرم على الرجل الزواج من ابنة زوجته التي دخل بها- سواء كانت الابنة في حجره أم لا- فإن طلقها أو ماتت قبل الدخول بها جاز له أن يتزوج ابنتها لقول الله تعالى: «وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ» (النساء: ٢٣).

وهذا مذهب الجمهور من السلف والخلف، وذهب علي وعمر رضي الله عنهما وداود الظاهري وابن حزم إلى أن ابنة الزوجة لا تحرم إلا إذا كانت في حجره عملاً بظاهر الآية.

أقوال أهل العلم:

جاء في بدائع الصنائع (٢/٣٨٦): أما بنت زوجته: فتحرم عليه بنص الكتاب العزيز، إذا كان دخل بزوجته، فإن لم يكن دخل بها فلا تحرم لقوله تعالى... وساق الآية... وسواء كانت بنت زوجته في حجره أو لا عند عامة العلماء، وقال بعض الناس لا تحرم

عليه إلا أن تكون في حجره...

ولنا أن التنصيص على حكم الموصوف لا يدل على أن الحكم في غير الموصوف بخلافه، إذ التنصيص لا يدل على التخصيص فتثبت حرمة بنت زوجة الرجل التي دخل بأمها وهي في حجره بهذه الآية، وإذا لم تكن في حجره ثبت حرمتها بدليل آخر وهو كون نكاحها مفضيًا إلى قطيعة الرحم، سواء كانت في حجره أو لم تكن على ما بينا فيما تقدم، إلا أن الله تعالى ذكر الحجر بناء على أن عرف الناس وعادتهم أن الربيبة تكون في حجر زوج أمها عادة، فأخرج الكلام مخرج العادة كما في قوله عز وجل: «وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ» (الإسراء: ٣١).

قال الطحاوي: وإضافتهن إلى الحجور إنما ذلك على الأغلب ما يكون عليه الربائب، لا أنهن لا يحرمن إذا لم يكن كذلك- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١٩/٥).

جاء في بداية المجتهد (٥٧/٣): وبنات الزوجات، والأصل فيه قوله تعالى: «وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ» (النساء: ٢٣).... هل من شرط تحريم بنت الزوجة أن تكون في حجر الزوج؟ أم ليس ذلك من شرطه؟. فإن الجمهور على أن ذلك ليس من شرط التحريم. وقال داود: ذلك من شرطه.

ومبنى الخلاف هل قوله تعالى: «ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم» (النساء: ٢٣)- وصف له تأثير في الحرمة؟ أو ليس له تأثير، وانما خرج مخرج الموجود أكثر؟

فمن قال: خرج مخرج الموجود الأكثر، وليس هو شرطا في الربائب؛ إذ لا فرق في ذلك بين التي في حجره أو التي ليست في حجره- قال: تحرم الربيبة بإطلاق. ومن جعله شرطا غير معقول المعنى قال: لا تحرم إلا إذا كانت في حجره.

قال ابن قدامة في المغني (٤٠٠/٦): ذكرنا في البنات إذا دخل بالأم حرمت عليه سواء كانت في حجره أو لم تكن في قول عامة الفقهاء، إلا ما روى عن عمر وعلي رضي الله عنهما أنهما رخصا فيها إذا لم تكن في حجره وهو قول داود، لقول الله تعالى: «وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم».

قال ابن المنذر: وقد أجمع علماء الأمصار على خلاف هذا القول.

قال ابن قدامة: فأما الآية فلم تخرج مخرج الشرط وانما وصفها بذلك تعريفًا لها بغالب حالها وما خرج مخرج الغالب لا يصح التمسك بمفهومه، وإن لم يدخل بالمرأة لم تحرم عليه بناتها في قول عامة علماء الأمصار... إلى أن قال:

قال ابن المنذر: وأجمع عوام علماء الأمصار أن الرجل إذا تزوج امرأة ثم طلقها أو ماتت قبل الدخول بها جاز له أن يتزوج ابنتها، كذلك قال مالك والثوري والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق وأبو ثور ومن تبعهم... واستدل بالآية الكريمة.

قال ابن حزم في المحلى (١٤١/٩): فلم يحرم الله عز وجل الربيبة بنت الزوجة أو الأمة إلا بالدخول بها وأن تكون هي في حجره، فلا تحرم إلا بالأمرين معًا.

تعقيب وترجيح:

والراجح في هذه المسألة هو ما ذهب إليه جمهور العلماء من السلف والخلف من أنه يحرم على الرجل الزواج من ابنة زوجته التي دخل بها- سواء كانت الابنة في حجره أم لا، أما قوله تعالى: «وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ» (النساء: ٢٣)، فليست مقيدة باللاتي في الحجور بل خرجت مخرج الغالب، فتحرم الربيبة سواء كانت في الحجر أم لا، والله تعالى أعلم بالصواب.

القسم الثاني: المحرمات مؤقتا

١- أخت الزوجة:

يحرم على الرجل الجمع بين المرأة وأختها- سواء كانت أختها بالنسب أو بالرضاع، لقول الله تعالى: «وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ» (النساء: ٢٣)، أما إذا ماتت الزوجة جاز للزوج أن يتزوج أختها، وإذا طلق زوجته

طلاقًا رجعيًا جاز له أن يتزوج أختها بعد انقضاء عدة الزوجة، لأن للزوج الحق في أن يراجعها أثناء العدة.

فلا يجوز أن يجمع بينها وبين أختها حتى تنقضي عدتها، وكل هذا لا خلاف فيه بين أهل العلم ولله الحمد.

جاء في المجموع (٣٣١/١٧):

فإن المنصوص على تحريمها بالجمع أخت الزوجة، فلا يجوز للرجل أن يجمع بين الأختين في النكاح سواء إن كانتا أختين لأب وأم أو لأب أو لأم، وسواء كانتا أختين من النسب أو من الرضاع لقوله تعالى: «وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ» الآية، ولأن العادة جارية أن الرجل إذا جمع ضرتين تباغضا وتحاسدا وتتبعت كل واحدة عيوب الأخرى وعورتها، فلو جوزنا الجمع بين الأختين لأدى ذلك إلى تباغضهما وتحاسدهما فيكون في ذلك قطع الرحم بينهما ولا سبيل إليه، وهو إجماع لا خلاف فيه.

وفي (ص: ٣٣٣) قال: وإن تزوج بامرأة ثم طلقها وأراد أن يتزوج أختها أو عمتها أو خالتها، أو تزوج أربع نسوة وطلقهن وأراد أن ينكح أربعًا غيرهن أو طلق واحدة منهن وأراد أن يتزوج غيرها- فإن كان الطلاق قبل الدخول- يصح تزويجه بلا خلاف، لأنه لا عدة له على المطلقة، وإن كان بعد الدخول- فإن كان الطلاق رجعيًا- لم يصح تزويجه قبل انقضاء العدة، لأن المطلقة في حكم الزوجات.

إذا طلق الرجل زوجته طلاقًا بائنًا، هل يصح زواجه من أختها قبل انقضاء عدتها؟

إن كان الطلاق بائنًا صح تزويجه عندنا قبل انقضاء العدة وبه قال زيد بن ثابت رضي الله عنه والزهري ومالك.

وقال الثوري وأبو حنيفة: لا يصح، وروي ذلك عن علي وابن عباس، دليلنا أن المطلقة بائن منه فجاز له عقد النكاح على أختها كالبائن قبل الدخول.

٢- عمة وخالة المرأة:

يحرم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها من الرضاع أو النسب أما إذا ماتت الزوجة جاز له أن يتزوج عمتها أو خالتها، وإذا طلق امرأته جاز له الزواج من عمتها أو خالتها بعد انقضاء العدة، على ما قدمنا من تفصيل في المسألة.

- عن الشعبي: سمع جابرًا رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تُنكح المرأة على عمَّتها أو خالتها». أخرجه البخاري (٥١٠٨).

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يُجْمَعُ بَيْنَ المرأة وعمَّتها ولا بين المرأة وخالتها». أخرجه البخاري (٥١٠٩) ومسلم (١٤٠٨).

- وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يخطبُ الرجل على خطبة أخيه ولا يسُومُ على سَوْم أخيه ولا تُنكحُ المرأة على عمَّتها ولا على خالتها ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكتفئ صحفتها ولتنكح فإنما لها ما كتب الله لها». (أخرجه مسلم: ١٤٠٨).

قال الإمام النووي في شرحه لمسلم (٢٠٧/٥): بعد أن ساق الحديث- هذا دليل لمذاهب العلماء كافة، أنه يحرم الجمع بين المرأة وعمتها وبينها وبين خالتها، سواء كانت عمة أو خالة حقيقة وهي أخت الأب وأخت الأم، أو مجازية وهي أخت أبي الأب وأبي الجد وإن علا، أو أخت أم الأم وأم الجدة من جهتي الأم والأب وإن علتا فكلهن بإجماع العلماء يحرم الجمع بينهما.

٣- المطلقة ثلاثًا:

لا يحل للرجل أن يتزوج امرأته التي طلقها ثلاثًا حتى تنكح زوجًا غيره نكاحًا صحيحًا فإذا طلقها الثاني جاز للزوج الأول نكاحها، قال تعالى: «الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ» (البقرة: ٢٢٩ - ٢٣٠).

وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

تبصير المسلمين بحكم الاحتفال بمولد سيد المرسلين

إعداد **معاوية محمد هيكل**

الحمدُ لله الذي أرسلَ رسولَه بالهدى ودِين الحقِّ ليُظهرهُ على الدِّين كلِّه، وكفى بالله شهيدًا، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، إقرارًا به وتوحيدًا، وأشهدُ أنَّ مُحمدًا عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا مزيدًا. أما بعد: فإن أمة الإسلام مضت قرونها الثلاثة المفضلة، ولم تسجل لنا كتب التاريخ أن أحدًا من الصحابة، أو التابعين، أو تابعيهم ومن جاء بعدهم-مع شدة محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم، وحرصهم على اتباع سنته- احتفل بمولد النبي صلى الله عليه وسلم.

وانما أحدث هذا الاحتفال البدعي في أواخر القرن الرابع الهجري، من قبل الدولة العبيدية الباطنية «الذين سمَّوا أنفسهم زورًا بـ: الفاطميين» استدراجًا للمُسلمين وتلبيسًا عليهم أنهم يعظمون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته، وهم أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته. وقد أحدثوا في هذا الشأن عددًا من الموالد والاحتفالات البدعية؛ منها: مولد النبي صلى الله عليه وسلم، ومولد علي، وفاطمة، والحسن والحسين رضي الله عنهم، وغيرها من الموالد، حتى عدد سبعة وعشرين احتفالًا لهم، كلها انقرضت بسقوط الدولة العبيدية عام ٥٦٧هـ على يد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله.

ثم أحيا الصوفية بعد ذلك بدعة الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم، وأحيا الرافضة بدع يوم عاشوراء من جديد، وما زالت هذه البدع مستمرة إلى يوم الناس هذا.

التحذير من بدعة الاحتفال بالمولد النبوي:

من المظاهر التي اعتادها الناس في هذا الشهر الاحتفال بالمولد النبوي، وهو بلا شك من البدع المحدثة في دين الله؛ لأنه اجتماع على

أعمال يقصد بها التقرب إلى الله، والله لا يتقرب إليه إلا بما شرع، ولا يعبد إلا بما شرع، فكل محدثة في الدين بدعة، والبدع منهي عنها.

قال الله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ (الشورى ٢١)، أي شرعوا لهم: من الشرك والبدع، وتحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله ونحو ذلك مما اقتضته أهواؤهم.

وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد» (متفق عليه).

أي: مردود عليه، وقال في حديث آخر: «عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين: عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم والأمور المحدثات؛ فإن كل بدعة ضلالة» (صحيح سنن ابن ماجه: ٤٢).

ففي هذين الحديثين تحذير شديد من إحداث البدع، والعمل بها، وقد قال سبحانه وتعالى في كتابه المبين: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (الحشر:٧)، وقال عز وجل ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور:٦٣)، وقال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب:٢١)، وقال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (المائدة:٣)

الاحتفال بالمولد النبوي تشبه بالنصارى:

وكذلك الاحتفال بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم، فيه تشبه بالنصارى في احتفالهم بميلاد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، «ويقيمه المبتدعة على اعتبار أن محمدا صلى الله عليه وسلم أجدر وأولى بالتكريم من عيسى- عليه السلام-، وفيه تنشد القصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وإطرائه، مع ورود نهيه بقوله: «لا تطروني، كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله، ورسوله» (صحيح البخاري ٣٤٤٥)؛ أي: لا تغلوا في مدحي وتعظيمي كما غلت النصارى في مدح المسيح وتعظيمه حتى عبدوه من دون الله، وقد نهاهم الله عن ذلك بقوله: «يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه» (النساء/١٧١).

فجمعوا بين سيئتين: التشبه بالكفار والتشبه في الإطراء» (انظر: الرد القوي على الرفاعي للشيخ التويجري ص: ٨٧)؛ فعلم بهذا أن المولد النبوي من جملة البدع المردودة.

تحذير سلف الأمة من الابتداع في الدين

- قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «كل عبادة لم يتعبدها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: فلا تعبدوها؛ فإن الأول: لم يدع للآخر مقالا» (الحوادث والبدع للطرطوشي: ١٤٩).

- وقال أيضا رضي الله عنه: «إنكم قد أصبحتم اليوم على الفطرة وإنكم ستحدثون ويحدث لكم فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالهدي الأول» («جامع العلوم والحكم»: ١٣٢/٢).

- وقال الحافظ بن رجب رحمه الله: «فكل من أحدث شيئا ونسبه إلى الدين-ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه- فهو ضلالة والدين منه بريء، وسواء من ذلك مسائل الاعتقادات، أو الأعمال، أو الأقوال الظاهرة والباطنة» (جامع العلوم والحكم ٢/ ١٢٨).

- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا يحل لأحد أن يقابل هذه الكلمة الكلية الجامعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي قوله: «كل بدعة ضلالة» بسلب عمومها، وهو أن يقال: ليست كل بدعة ضلالة، فإن هذا إلى مشاقة الرسول أقرب منه إلى التأويل»، وقال: «إن قصد التعميم المحيط ظاهر من نص رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة الجامعة، فلا يعدل عن مقصوده بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم»، وذكر شيخ الإسلام: «أن تخصيص عموم النهي عن البدع بغير دليل من كتاب أو سنة أو إجماع لا يقبل، فالواجب التمسك بالعموم». (الاقتضاء: ٢/٥٨٨).

- وقال إمامُ دار الهجرة مالكُ بنُ أنس في قاعدته العظيمة: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمدا خان الرسالة؛ لأنّ الله تعالى يقول: «اليومَ أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلامَ دينا»؛ فما لم يكن يومئذ دينا، فلا يكونُ اليوم دينا».

(الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٦/ ٥٨، والاعتصام للشاطبي ١/ ٦٢).

أقوال علماء الأمة في التحذير من بدعة الاحتفال بالمولد النبوي

لقد تتابع أهل العلم منذ ظهور هذه البدعة الشنيعة على إنكارها، وانكار ما يلتزمه الناس فيها دون سائر الأيام، ومن هؤلاء الأعلام:

- الإمام العلامة الشاطبي المالكي رحمه الله (ت ٧٩٠هـ)؛ صاحب «الموافقات» و«الاعتصام»، فقد ورد له كلام نفيس ضمن جوابه على البدع التي اعتادها الناس، وكانت المسألة الأولى عن حكم الوصية من الميراث لإقامة المولد النبوي، فقال رحمه الله: «... فمعلوم أن إقامة المولد على الوصف المعهود بين الناس بدعة محدثة، وكل بدعة ضلالة، فالإنفاق على إقامة البدعة لا يجوز والوصيّة به غير نافذة، بل يجب على القاضي فسخه وردّ الثلث إلى الورثة يقتسمونه فيما بينهم، وأبعد الله الذين يطلبون إنفاذ مثل هذه الوصيَة...» انتهى المراد من كلامه.

- قال شيخ الإسلام رحمه الله عن الاحتفال بالمولد النبوي: «لم يفعله السلف، مع قيام المقتضي له وعدم المانع منه، ولو كان هذا خيرًا محضاً، أو راجحا: لكان السلف رضي الله عنهم أحقّ به منّا؛ فإنهم كانوا أشدّ محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعظيمًا له منّا، وهم على الخير أحرص، وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره، واحياء سنته باطنًا وظاهرًا، ونشر ما بُعث به، والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن هذه طريقة السابقين الأولين، من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان» (اقتضاء الصراط المستقيم: ٢/ ١٢٣).

- وقال الإمام الشوكاني رحمه الله، في الفتح الرباني (٢/ ١٠٨٧- ١٠٩٩): «لم أجد دليلا يدل على ثبوته من كتاب، ولا سُنة، ولا إجماع، ولا قياس، ولا استدلال، بل أجمع المسلمون أنه لم يُوجد في عصر خير القرون، ولا الذين يلونهم، ولا الذين يلونهم.... ولم ينكر أحدٌ من المسلمين أنه بدعة».

- وقال الحافظ ابنُ حجر رحمه الله: «أصل عمل المولد بدعة لم تُنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة» كما نقله عنه السُيوطيُ في (الحاوي للفتاوي١/ ٢٢٩).

- وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «وأنكر الإمام محمد بن عبد الوهاب ما كان عليه الناس في تلك البلاد وغيرها من تعظيم الموالد والأعياد الجاهلية، التي لم ينزل الله بها سلطانا، ولم ترد به حجة شرعية ولا برهان، لأن ذلك فيه مشابهة للنصارى الغالين في أعيادهم الزمانية والمكانية، وهو باطل مردود في شرع سيد المرسلين» (مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ص: ٤٤).

- وقال العلامة الألباني رحمه الله: «ونحن- وإياهم- مجمعون على أن هذا الاحتفال أمر حادث لم يكن، ليس فقط في عهده صلى الله عليه وسلم، بل ولا في عهد القرون الثلاثة، ومن البدهي أن النبي في حياته لم يكن ليحتفل بولادة إنسان ما إنما هي طريقة نصرانية مسيحية لا يعرفه الإسلام مطلقًا في القرون المذكورة..» (من شريط بدعة المولد).

- وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: «لا شك أن الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم من البدع المحدثة بعد أن انتشر الجهل في العالم الإسلامي، وصار للتضليل والإضلال والوهم والإيهام مجال عميت فيه البصائر، وقوي فيه سلطان التقليد الأعمى، وأصبح الناس في الغالب لا يرجعون إلى ما قام عليه الدليل على مشروعيته، وإنما يرجعون إلى ما قاله فلان وارتضاه علان، فلم يكن لهذه البدعة المنكرة أثر يذكر لدى أصحاب رسول الله، ولا لدى التابعين وتابعيهم... إلخ» (فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ٣/ ٥٤).

- وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

«واحداث مثل هذه الموالد يفهم منه أن الله سبحانه وتعالى لم يكمل الدين لهذه الأمة، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يبلغ ما ينبغي للأمة أن تعمل به.. حتى أتى هؤلاء المتأخرون فأحدثوا في دين الله» (التحذير من البدع (٤- ٥)).

- وقال العلامة الشيخ حمود التويجري رحمه الله: «فالذين يتخذون المولد عيدًا ليسوا من الذين ترجى لهم المثوبة على هذه البدعة، وانما هم من الذين تخشى عليهم العقوبة على مخالفتهم للأمر الذي كان عليه رسول الله وأصحابه» (الرد القوي على الرفاعي والمجهول ابن علوي: ص:٢٢٣).

وفي الختام رسالة هادئة إلى كل من يحتفل بالمولد النبوي:

أخي المُحتفِل بيوم المولد النبويّ: اعلم وفقني الله وإياك لهُداه، واتباع نبيِّه ومُصطفاه... أنه:

لا خلاف بين أهل العلم في أن الواجب على كل مسلم ومسلمة تعظيمُ النبي صلى الله عليه وسلم، وتوقيرُه ومحبتَه؛ بل وتقديم محبته على الوالد والولد والنفس، والناس أجمعين.

ولا خلاف بينهم من كونهم يفرحون بولادة النبي صلى الله عليه وسلم، وبعثته وهجرته وجهاده.... وأن الله أرسله شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه، وسراجًا منيرًا... ولا خلاف بينهم أن الله أنزل قوله: «اليومَ أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلامَ دينا» والكامل: هو الذي لا يقبل الزيادة.

ولا خلاف بينهم أن وحيَ السماء انقطع بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلا دينَ إلا ما شرعه، ولا إسلامَ إلا ما جاء به.

ولا خلاف بينهم أن جيل الصحابة والتابعين وتابعيهم، وحتى الأئمة الأربعة المتبوعين... لا يعرفون هذا الاحتفال الذي يفعله الناسُ اليوم.

ولا خلاف بينهم أن النية الطيبة، والقصد الحسن.. غير كافٍ لتكون العبادة مقبولة عند الله؛ فإن الله بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم دليلاً على ما يُحب ويرضى؛ فما جاء من غير طريق الرسول؛ فليس له إلى الله وصول.

ولا خلاف بينهم أن الجمع بين محبة النبي صلى الله عليه وسلم، وبين اتباع سُنته، خيرٌ وأبقى من محبته، ومخالفة سُنته وطريقته.

ولا خلاف بينهم أن الرافضة هم أول من احتفل بيوم المولد النبويّ، اقتداءً منهم بفعل النصارى الذين جعلوا الإله آلهة عدة.

ولا خلاف بينهم أن قراءة سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وحفظها وتعلمها، والاستضاءة بنورها في كل وقت وحين، من سُنن الصالحين، وطرق المُهتدين، وسُبُل الموفقين..

ولا خلاف بينهم أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مشروعة على الدوام، مُستحبة كل الأيام؛ بل مهما أكثر العبدُ منها؛ فإن الله أكثر.

فإذا وفقك الله لفهم ما سبق من إشارات؛ ستعلمُ وتتنذ أن أهل السُنة والجماعة أسعد الناس حظًا برسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم يقتدون به في كل وقت وحين وفي جميع أحوالهم فيتبعونه فيما أمر، وينتهون عما نهى عنه وزجر، ويُصدقون الغيبَ الذي حدّث به والخبر...

أما مَن اقتصر- في محبته لنبيه صلى الله عليه وسلم- على الاحتفال بمولده يومًا واحدًا في السَّنة، وجعله يومَ طعام وشراب، ورقص وغناء، ومكاء وتصدية... فلا-واللهِ- ما أَحَبَّ نبيَّه؛ وانما أحبَّ شهوته؛ فأراد أن يجعلها شريعة شرعية.

مَن يدّعي حُبَّ النبي ولم يَفِدْ
من هدْيه فسَفاهَةٌ وهُراءُ
الحُبُّ أوّلُ شرطه وفُروضه
إن كان صدْقًا- طاعةٌ ووفاءُ

أخي المُحتفل بيوم المولد النبوي: أسألُ الله أن يهديَني وإياك صراطه المستقيم، وأن يُجنبنا مخالفة هدي سيد المرسلين، وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين،

والحمدُ لله ربِّ العالمين.

محمد رسول الله

حاجة البشرية إلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

إعداد
د. عبد الوارث عثمان
أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول، صلى الله عليه وسلم.

وبعد: فإن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم يتطلع إليها المؤمن متذكرًا معتبرًا، ويقف أمامها خاشعًا شاعرًا بالإجلال والرهبة، مستعرضًا عنده ما عمرت به حياة الرسول من جلائل الأعمال، وما احتمله في سبيل الله من المتاعب والأثقال، وما أعده الله له من مكانة وشرف تتقاصر عنه همم الرجال والأبطال، فقد بُعث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في أجلاف العرب من قريش ولم يكن لديهم يومئذ إلا المعارف الفطرية، تحرقهم نار العصبية العمياء، وتغرقهم شطحات الوثنية الحمقاء في بحر من واقع مؤلم شنيع مستبشع، فأعلن دين التوحيد وأظهر حقائق رسالة الإسلام الخالدة، متحديًا صناديد الكفر وأئمة الضلال من قومه لا يعبأ بما يقع عليه منهم في سبيل كلمة التوحيد من عناد ممقوت يدفعهم دفعًا عاصفًا نحو إلحاق عظيم الأذى وفادح البلاء به، ولم تكن البشرية في كل ربوع الأرض بعيدة في هذا الوقت من تلك الجاهلية البغيضة، وإنما كانت تمر بأزمة غابت فيها الشرائع الإلهية، والضوابط الأخلاقية، والثوابت الشرعية، وضعف منطق العقل وساد منطق القوة والأنياب، فازداد الفقير فقرًا والضعيف ضعفًا، كما ازداد القوي قوة وازداد الغني غنًى، ولم يعد يُسمع في الأرض إلا منطق المخلب والناب، كان ذلك كله في الفترة التي سبقت بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم..

وبالرغم من وجود بقايا من تعاليم الشرائع السماوية وقتها، فإن الأرض بلغت حدًا من الشقاء والعناء، جاوز كل حد، وفاق كل التصورات.

فقد أصيبت النصرانية بحادثة خطيرة أعجزتها عن أن تقدم للأرض منهجًا حاكمًا، أو شريعة هادية. ففي سنة ٣٠٥م اعتلت النصرانية عرش "رومة" الوثنية. وكان ذلك بجلوس "قسطنطين" على سرير الأباطرة، فانتصرت فيه النصرانية على الوثنية، ونالت فجأة ما لم تكن تحلم به، من ملك عريض ودولة مترامية الأطراف، وكلمة لا تعلوها كلمة. ولما كان قسطنطين إنما توصل إلى الملك على جسر من أشلاء النصارى، وأنهار من دمائهم التي أريقت في الذب عنه، والانتصار له، فقد عرف لهم الجميل وبذل لهم وجهه، ووطأ لهم أكنافه، وقلدهم مفاتيح ملكه.

ولكن انتصر النصارى في ساحة القتال وانهزموا في معترك الدين، فقد ربحوا ملكًا عظيمًا، وخسروا دينًا جليلاً؛ لأن الوثنية الرومية مسخت دين المسيح ومسخه أهله، وكان أكثر مسخًا له وتحريفًا هو قسطنطين الكبير حامي زمار النصرانية ورافع لوائها.

وبدا واضحًا أن الأرض كلها فقدت ميزان عقلها، وغاب عنها النور الذي يهدي، والحادي الذي يرشد إلى سواء السبيل، وباتت البشرية تنشد خلاصها، وتنتظر منقذها إلى أن أذن الله للأرض بالسعادة، وللبشرية بالخلاص، فبعث إليها محمدًا صلى الله عليه وسلم، فكانت بعثته فتحًا للأرض كلها، وإنقاذًا للبشرية بأسرها، وبشيرًا ونذيرًا ورحمة للعالمين.

إنَّ محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعث والعالم كبناء أصيب بزلزال شديد هزه هزًا عنيفًا فإذا كل شيء فيه في غير محله، فنظر الله إلى العالم نظرة رحمة واحسان فوجد إنسانًا قد هانت عليه إنسانيته، وجده يسجد للحجر والشجر، وكل ما لا يملك لنفسه النفع والضرر، وجد معاقرة الخمر إلى حد الإدمان، والخلاعة والمجون إلى حد الاستهتار، وتعاطي الربا إلى حد الاغتصاب، واستلاب الأموال، وجد الطمع وشهوة المال إلى حد الجشع والنهامة، وجد القسوة والظلم إلى حد وأد البنات وقتل الأولاد.

رأى ملوكًا اتخذوا بلاد الله دولاً، ورأى أحبارًا ورهبانًا أصبحوا أربابًا من دون الله، يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، وجد المواهب البشرية ضائعة أو زائفة لم ينتفع بها، ولم توجه التوجه السليم، فعادت وبالاً على أصحابها وعلى الإنسانية.

وجد الشجاعة تحولت همجية وفتكًا، والجود تبذيرًا واسرافًا، والأنفة حمية جاهلية، والذكاء خديعة، والعقل وسيلة لابتكار الجنايات والتفنن في ممارسة الشهوات. ولأن محمدًا أكرم الخلق كان رسولاً نبيًا؛ فقد هُدي -بإذن ربه- إلى مفتاح قفل الطبيعة البشرية، لقد علم صلوات الله وسلامه عليه أن القلب هو سيد الجوارح، وأدرك بهداية الله له، أن هداية الإنسان تبدأ من قلبه، فهو صلوات الله وسلامه عليه القائل: "ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب". متفق عليه.

والقلب المقصود هنا هو باطن الإنسان وكيانه الروحي ووجدانه الخفي، فبدأ معهم بالقرآن المكي يزرع في قلوبهم معنى لا إله إلا الله، ويصحح العقيدة ويثبّتها ويقوّيها ويرقق به مشاعرهم ويحيي به ضمائرهم، ويهز به كيانهم، ويعمق به يقينهم. وكانت البداية في بيت النبوة؛ حيث تلقى الحبيب صلى الله عليه وسلم أمر ربه له بالقراءة، فكانت إيذانًا

باتصال السماء بالأرض، وبداية لحمل نور الله إلى الناس كافة. قال تعالى: «قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ» سورة المائدة ١٥-١٦.

يوم انتصر الإسلام على الجاهلية:

وتوالت آيات الله تترى، واستيقظت القلوب والأرواح على مشاهد القيامة ومصارع المكذبين في سور القرآن المكي يقرع بها آذان الكافرين، وينبه بها الغافلين، وينذر المشركين ويبشر المؤمنين. هذا والرسول صلى الله عليه وسلم يغذي أرواحهم بالقرآن، ويربي نفوسهم بالايمان ويخضعهم أمام رب العالمين خمس مرات في اليوم، عن طهارة بدن، وخشوع قلب وخضوع جسم، وحضور عقل، فيزدادون كل يوم سمو روح، ونقاء قلب، ونظافة خلق، وتحررًا من سلطان الماديات، ومقاومة للشهوات، ونزوعًا إلى رب الأرض والسموات، ويأخذهم بالصفح الجميل والصبر على الأذى وقهر النفس.

ولم يزل صلوات الله وسلامه عليه يربيهم تربية دقيقة عميقة، ولم يزل القرآن يسمو بنفوسهم ويزكي جمرة قلوبهم ومجالس الرسول صلى الله عليه وسلم تزيدهم رسوخًا في الدين، وعزوفًا عن الشهوات، وتفانيًا في سبيل المرضاة، وحنينًا إلى الجنة، وحرصًا على العلم وفقهًا في الدين ومحاسبة للنفس ويطيعون الرسول صلى الله عليه وسلم في المنشط والمكره وينفرون في سبيل الله خفافًا وثقالاً؛ قد خرجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم للقتال سبعة وعشرين مرة في عشر سنين، وخرجوا بأمره للقاء الأعداء أكثر من مائة مرة، فهان عليهم التخلي عن الدنيا، وهانت عليهم رزينة أولادهم ونسائهم في نفوسهم، ونزلت الآيات بكثير مما يألفوه ولم يتعودوه.

وانتصر الإسلام على الجاهلية في المعركة الأولى-معركة النفس والمشاعر-؛ فكان النصر حليفه في كل معركة، وقد دخلوا في الإسلام كافة بقلوبهم وجوارحهم وأرواحهم ومشاعرهم، لا يشاقون الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى، ولا يجدون في أنفسهم حرجًا مما قضى، ولا يكون لهم الخيرة من أمرهم بعد أن أمر ونهى.

تلك كانت حالة القلوب التي رباها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقت بهمة المكلف من خالقه الحامل لدينه المبلغ لرسالته وهم يستشعرون أمانة التبليغ عن الله، ورد قلوب عباده إليه، لا يقعدهم عن أداء مهمتهم جبن أو ضعف، ولا يفسد أخلاقهم تلون أو غدر، ولا يشغلهم عن أداء مهمتهم مال ولا بنون قال تعالى: «رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ» (النور:٣٧). واليوم تعود البشرية مرة أخرى إلى جاهلية جديدة أشد فتكًا وأعظم خطرًا، وأعقد معالجة وأقوى مراسًا.

ناجازكي وهيروشيما.. والجاهلية المعاصرة:

فأصحاب الجاهلية الأولى كانوا على قلتهم أعزة وعلى فاقتهم أعفة وعلى جاهليتهم أعلم بالخير أما الجاهلية الجديدة، فقد شرح أصحابها بالكفر صدرًا وأدركوا أنهم يملكون مفاتيح الكون وأن الأرض كلها ينبغي أن تسمع لهم وأن تنطلق في تصوراتها كلها من أفكارهم ومبادئهم، فإذا علمت أنهم لا يملكون وحيًا إلهيًا ولا توجيهًا ربانيًا ولا دينًا سماويًا، وانما كل ما لديهم أهواء غلبتها شهوات، وصراعات تفجرها نزاعات، وجشع وطمع يحفز إليهما أنانية ونفوس حقودة علمت أي نوع من الجاهلية هذه، وأدركت أن الأرض قد وقعت فريسة هذا الحقد الأسود وضحية

هذا النهم المسعور.

أما الجاهلية المعاصرة التي بلغت أبعد مدى وصل إليه الإنسان في التقدم العلمي، هي التي تستخدم الطاقة النووية في أحداث ألوان من الشر يعجز الإنسان عن تصورها. ويكفي أن قنبلتي ناجازاكي وهيروشيما اللتين ألقيتا في الحرب العالمية الثانية بضغطة على "زر" في لحظة حمق أسود وحقد رهيب قد محت عن الوجود مدينتين عامرتين بمئات الآلاف من البشر بل ومحت آثار الحياة كلها من إنسان وحيوان ونبات عن مساحة واسعة حول المدينتين بسبب الإشعاع الذري الذي ما يزال إلى هذه اللحظة بعد مرور أكثر من سبعين سنة ينتج أجنة مشوهة تعاني كل ألوان العذاب.

ألا ما أتعس هذه الحضارة؟، وما أشد شقاء من ابتلى بها، ويتحاكم إليها!! وما أتعس العالم كله عندما يتغلب على أمره ويستسلم لهذا الغول المخيف منخدعًا بهذا الطلاء الخارجي الخادع الذي يسمونه العلم (يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) الروم: ٣٠. وإذا كانت الأرض كلها على اختلاف حضارتها وأجناسها تعاني فراغًا روحيًا، وغيابًا إيمانيًا، واكتئابًا نفسيًا؛ بسبب انقطاعها عن خالق الكون ومانح الحياة، فإن أمة الإسلام وحدها اليوم هي القادرة على التقدم لأهل الأرض جميعًا بالإنقاذ بما اختصها الله به من وحي السماء ورسالة خاتم الأنبياء وشهادة هذه الأمة على أمم الأرض أجمعين.

إن الأرض كلها تنتظر قدوم الإسلام للإنقاذ بعد أن أدرك العقلاء من الغرب والشرق أن الإسلام هو المنقذ.

الإسلام يحسم النزاع:

يقول المستشرق الألماني "باول شمتز": "سيعيد التاريخ نفسه مبتدئًا من الشرق الأوسط عودًا على بدء، من المنطقة التي قامت فيها القوى العالمية في الصدر الأول للإسلام، وستظهر هذه القوة في تماسك الإسلام ووحدته العسكرية، وستثبت هذه القوة وجودها إذا ما أدرك المسلمون كيفية استخراجها والاستفادة منها" (كتاب الإسلام قوة الغد العالمية باول شمتز).

ويقول المستشرق الإنجليزي "هاملتون جب": "إن الإسلام ما زال في قدرته أن يقدم للإنسانية خدمة سامية جليلة، فليست هناك أي هيئة سواه يمكن أن تنجح مثله نجاحًا باهرًا في تأليف الأجناس البشرية المتنافر في جبهة واحدة، فالجامعة الإسلامية العظمى في إفريقيا والهند واندونيسيا، بل وتلك الجامعة الصغيرة في الصين أو اليابان، تبين كلها أن الإسلام مازالت له القدرة على أن يسيطر كلية على أمثال هذه العناصر المختلفة الأجناس والطبقات، فإذا ما وضعت منازعات دول الشرق والغرب موضع الدرس فلا بد من الالتجاء إلى الإسلام لحسم النزاع" (كتاب صفحات مضيئة من تراث الإسلام، أنور الجندي، دار الاعتصام ص١٥٨).

ونختم هذا الموضوع بهذه الشهادة التي يقدمها رجل نصراني شديد التعصب لنصرانيته هو "ج.ه.دينسون" في كتابه العواطف كأساس للحضارة: "إن شجرة الحضارة البشرية تترنح اليوم وتهتز كما كانت تهتز وتترنح قبيل مولد الرجل الذي وحَّد العالم جميعه"، فما أشد حاجة البشرية إلى رسالة محمد لتنقذها مرة أخرى؟". وما كنا بحاجة إلى شهادة أحد بعد قول ربنا عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ (سورة الصف: ٩).

والله المستعان.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

لا شيء ينفع العبد يوم القيامة إلا عمله

قال الله تعالى: «قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ» (إبراهيم: ٣١).

من أقوال السلف

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: "إنكم اليوم في زمان كثير علماؤه، قليل خطباؤه، من ترك عُشر ما يعرف فقد هوى، ويأتي من بعد زمان كثير خطباؤه قليل علماؤه من استمسك بعشر ما يعرف فقد نجا". (ذم الكلام للهروي).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

جزاء الصبر على البلاء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما ابتلى الله عبدًا ببلاء وهو على طريقة يكرهها، إلا جعل الله ذلك البلاء له كفارة وطهورا، ما لم ينزل ما أصابه من البلاء بغير الله، أو يدعو غير الله في كشفه". (رواه ابن أبي الدنيا وصححه الألباني).

حكم ومواعظ

عن ابن المبارك قال: "اغتنم ركعتين زُلفى إلى الله إذا كنت فارغًا مستريحًا، وإذا ما هممت بالنطق في الباطل فاجعل مكانه تسبيحًا؛ فاغتنام السكوت أفضل من خوض، وإن كنت في الحديث فصيحًا". (شعب الإيمان).

من دلائل النبوة

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة يوم بدر: "اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم، فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله ألححت على ربك، فخرج وهو يثب في الدرع، وهو يقول: سيهزم الجمع ويولون الدبر". (صحيح البخاري).

إعداد: علاء خضر

من فضائل الصحابة

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها: "أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة؟ قلت: بلى والله! قال: فأنت زوجتي في الدنيا والآخرة". (رواه الحاكم وصححه الألباني).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

"حسبي من سؤالي علمه بحالي". لا أصل له. وهذا مُخالف لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠)، وقوله صلى الله عليه وسلم "الدعاء هو العبادة". (السلسلة الضعيفة للألباني).

من حكمة الشعر

إياكَ تنسى حقيرَ الذنبِ تعظمهُ
من القراريطِ يأتي كُلُ قنطارِ
وقمْ بوسعكَ في كسب الحلال وكن
في صرفه بين تبذيرٍ واقتارِ

من صفات أهل الصلاح

قال الحسن البصري: "لأهل التقوى علامات يُعرفون بها: صدق الحديث، وأداء الأمانة، والإيفاء بالعهد، وقلة الفخر والخيلاء، وصلة الرحم، ورحمة الضعفاء، وحُسن الخلق، وسعة العلم، واتباع العلم فيما يقرب إلى الله زلفى". (الحلم لابن أبي الدنيا).

حكم الاحتفال بالمولد النبوي

سئل الإمام أبو الوليد الباجي عن الاحتفال بالمولد؟ فقال رحمه الله: لا أعلم لهذا المولد أصلا في كتاب ولا سنة، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطالون... إلى أن قال: وهذا لم يأذن فيه الشرع ولا فعله الصحابة، ولا التابعون ولا العلماء المتدينون فيما علمت.

حجاب المرأة المسلمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فما يزال الحديث متصلاً عن أثر قرائن السياق على أدلة الحجاب، وقد قسمت أدلة الحجاب إلى ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى: أدلة القرآن. المجموعة الثانية: أدلة السنة. المجموعة الثالثة: الآثار عن الصحابة ومن بعدهم. وقد انتهيت بفضل الله تعالى من أدلة القرآن وأدلة السنة، وبدأت في الآثار الواردة عن الصحابة ومن بعدهم، ووصلت إلى الأثر الثامن:

إعداد **د. متولي البراجيلي**

عن أنس رضي الله عنه قال: دخلت أمة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد كان يعرفها لبعض المهاجرين أو الأنصار وعليها جلباب متقنعة به، فسألها أعتقت؟ قالت: لا. قال فما بال الجلباب؟ ضعيه عن رأسك. إنما الجلباب على الحرائر من نساء المؤمنين. فتلكأت فقام إليها بالدرة فضرب رأسها حتى ألقته عن رأسها. (مصنف ابن أبي شيبة ٢/ ٢٣١، صححه الحافظ في الدراية ١/ ١٢٤، وقال الألباني: وهذا إسناد جيد، انظر جلباب المرأة المسلمة ص ٩٩، وصححه في الإرواء ح (١٧٩٦).

وله رواية أخرى أخرجها عبد الرزاق في المصنف عن أنس رضي الله عنه: رأى عمر رضي الله عنه أمة لنا متقنعة فضربها، وقال: "لا تتشبهي بالحرائر" (وقال ابن حجر: إسناده صحيح، وكذلك صححه الألباني انظر السابق).

القرائن حول الأثر:

١- قد كان يعرفها: بم كان يعرفها عمر قبل هذه الواقعة، لا شك أنه كان يعرفها بوجهها، أم بشيء آخر؟

٢- عليها جلباب، الجلباب أمر الله تعالى بإدنائه إذا خرجت المرأة من بيتها أو عندما تتعامل مع من ليس من محارمها على التأبيد. قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) (الأحزاب: ٥٩).

٣- متقنعة به: هل كانت تغطي وجهها به؛ فإن كان ذلك فكيف عرفها عمر رضي

الله عنه، هل عرفها بصفة ما في هيئتها، كما عرف سودة رضي الله عنها أم المؤمنين عندما خرجت منتقبة لبعض حاجتها، أم عرفها بوجهها؟

يبقى هذا على الاحتمال لكلا الفريقين، من قال بوجوب تغطية الوجه، قال كانت: متقنعة بالجلباب أي تغطي به وجهها، ومن قال بعدم وجوب تغطية الوجه، قال: بل كانت كاشفة عن وجهها، وبهذا عرفها عمر. وليس معنى التقنع هو تغطية الوجه. يقول الألباني: إن عمر رضي الله عنه عرف هذه الأمة مع أنها كانت متقنعة بالجلباب أي متغطية به، وذلك يعني بكل وضوح أن وجهها كان ظاهرًا وإلا لم يعرفها. (انظر: جلباب المرأة المسلمة ص٩٩).

سبق أن ذكرت معنى القناع -في مقال محرم ١٤٤٣هـ- وخلاصة ما وصلت إليه أن التقنع هو تغطية الرأس، وقد يكون لتغطية الرأس والوجه، وقد يكون لتغطية الوجه فقط. فهو من قبيل المشترك اللفظي -أي الكلمة التي لها عدة معان- وحمل الكلمة على معنى واحد من معانيها يحتاج إلى دليل.

٣- فما بال الجلباب؟ ضعيه عن رأسك: قول عمر رضي الله عنها للأمة "ضعيه عن رأسك"، قد يكون لصالح من ذهب إلى أن المرأة لم تكن تغطي وجهها، وإلا فإن الأولى لعمر أن يقول لها "ضعيه عن وجهك".

٤- إنما الجلباب على الحرائر من نساء المؤمنين: يقول الألباني: فقول عمر رضي الله عنه: "إنما الجلباب على الحرائر"، دليل واضح جدًا أن الجلباب ليس من شرطه عند عمر أن يغطي الوجه، فلو أن النساء -كل النساء- كن في العهد الأول يسترن وجوههن بالجلابيب ما قال عمر رضي الله عنه ما قال (انظر: جلباب المرأة المسلمة ص٩٩).

قلت: والدليل على الاحتمال وليس قطعي الدلالة، وإن كان الأقرب أن الأمة كانت كاشفة عن وجهها، أولاً: لمعرفة عمر رضي الله عنها لما رآها. ثانيًا: أمر عمر رضي الله عنه للأمة بأن تضع الجلباب عن رأسها، وليس هناك ذكر للوجه.

٥- هل تختلف الحُرة عن الأمة المسلمة في الملبس؟ لقد أورد الكثير من المفسرين أن هناك فرقًا بين الحرة والأمة في الملبس، بعد ذكر قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا) (الأحزاب: ٥٩)، وأن الله أمر الحرائر بإدناء جلابيبهن للتفرقة بينهن وبين الإماء؛ حتى لا يتعرض لهن الفساق.

والرواية التي وردت في هذا الصدد، أوردها ابن سعد في الطبقات: أخبرنا محمد بن عمر بن أبي سبرة، عن أبي صخر عن ابن كعب القرظي، قال: كان رجل من المنافقين يتعرض لنساء المؤمنين يؤذيهن، فإذا قيل له؟ قال: **كنت أحسبها أمة فأمرهن الله** أن يخالفن زي الإماء ويدنين عليهن من جلابيبهن. قال الألباني: لا يصح، ففي سنده ابن أبي سبرة، وهو ضعيف جدًا، وكذلك محمد بن عمر -الواقدي- وهو متروك. ثم قال: وفي معنى هذه الرواية روايات أخرى أوردها السيوطي في الدر المنثور، وبعضها عن ابن جرير وغيره، وكلها مرسلة لا تصح؛ لأن منتهاها إلى ابن مالك وأبي صالح والكلبي ومعاوية بن قرة والحسن البصري، ولم يأت شيء منها مسندًا، فلا يحتج بها، لا سيما وظاهرها مما لا تقبله الشريعة المطهرة، ولا العقول النيرة، لأن توهم أن الله تعالى أمر إماء المسلمين -وفيهن مسلمات قطعًا- على حالهن من ترك التستر، ولم يأمرهن بالجلباب ليدفعن به إيذاء المنافقين لهن.

ومن العجائب أن يغتر بعض المفسرين بهذه الروايات الضعيفة، فيذهبوا بسببها إلى تقييد قوله تعالى: (ونساء المؤمنين) بالحرائر دون الإماء، وبنوا على ذلك

أنه لا يجب على الأمة ما يجب على الحرة من ستر الرأس والشعر، بل بالغ بعض المذاهب فذكر أن عورتها مثل عورة الرجل من السرة إلى الركبة... وهذا مع أنه لا دليل عليه من كتاب أو سنة مخالف لعموم قوله تعالى: (ونساء المؤمنين)، ثم نقل قول أبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط: والظاهر أن قوله (ونساء المؤمنين) يشمل الحرائر والإماء، والفتنة بالإماء أكثر؛ لكثرة تصرفهن بخلاف الحرائر، فيحتاج إخراجهن من عموم النساء إلى دليل واضح (انظر جلباب المرأة المسلمة ص ٩٠-٩٦).

وقد هاجم ابن حزم أقوال المفسرين الذين ذهبوا إلى التفرقة بين الحرة والأمة في الملابس، ومما قال: "فدين الله واحد، والخلقة والطبيعة واحدة، كل ذلك في الحرائر والإماء سواء، حتى يأتي نص في الفرق بينهما في شيء فيتوقف عنده..." (انظر: كلامه في المحلى ٢/ ٢٤٨-٢٤٩).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وليس في الكتاب والسنة إباحة النظر إلى عامة الإماء، ولا ترك احتجابهن وإبداء زينتهن، ولكن القرآن لم يأمرهن بما أمر به الحرائر، والسنة فرقت بالفعل بينهن وبين الحرائر، ولم تفرق بينهن وبين الحرائر بلفظ عام، بل كانت عادة المؤمنين أن تحتجب منهم الحرائر دون الإماء... ثم قال: فإذا كان في ظهور الأمة والنظر إليها فتنة وجب المنع عن ذلك (انظر: حجاب المرأة المسلمة ولباسها في الصلاة ص٣٨-٣٩).

الأثر التاسع:

عن عطاء بن رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء: أتت النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي. قال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك. فقالت: بل أصبر ولا حساب عليّ. ثم قالت: إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها. وعن ابن جريج: أخبرني عطاء: أنه رأى أم زفر تلك امرأة طويلة سوداء على ستر الكعبة (رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم).

اختلف في هذه المرأة، هل هي ماشطة خديجة رضي الله عنها، أم غيرها؟ فذهب فريق من أهل العلم إلى أنهما واحدة، وذهب فريق إلى أنهما اثنتان (انظر عمدة القاري ٢١/ ٢١٤، غوامض الأسماء المبهمة لابن بشكوال ١/ ٢٩١، أسد الغابة ٧/ ٣٢٢، تهذيب الكمال ٣٥/ ٣٦١، تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٧٠، الإصابة ٨/ ٣٩٤-٣٩٦).

قلت: إن كانت هي ماشطة خديجة رضي الله عنها، وعاشت إلى زمن عطاء، فلا شك أنها من القواعد حين رآها عطاء، وإن كانت امرأة أخرى ورآها ابن عباس رضي الله عنهما، وعاشت إلى زمن عطاء فهي أيضا من القواعد.

والسؤال: متى رآها ابن عباس؟، قبل نزول الحجاب أم بعده؟، وكم كان عمر ابن عباس حين رآها؟، هذه الأسئلة تجعل الأثر الذى استدل به الشيخ الألباني على جواز كشف الوجه على الاحتمال فقط. والله أعلم.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

عزاء واجب

توفي إلى رحمة الله تعالى فضيلة الشيخ الدكتور سعيد صوابي، الأستاذ بجامعة الأزهر الشريف، وتتقدم أسرة تحرير مجلة التوحيد واللجنة العلمية بخالص العزاء لأسرة الشيخ وطلابه ومحبيه، سائلين الله تبارك وتعالى أن يتغمد الشيخ برضوانه ورحماته، وأن يرفع في الجنة درجاته، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

باب الفقه

الحلقة الرابعة

صلاة المسافر

إعداد د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، تكلمنا في اللقاء السابق عن حكم القصر في السفر، ونبدأ في هذا اللقاء الحديث عن نية القصر، ومتى يبدأ المسافر القصر، والمسافة التي يجوز للمسافر القصر فيها.

النية في القصر: هي أن ينوي القصر عند الإحرام بالصلاة، وهذا شرط عند الشافعية والحنابلة؛ لأن الأصل الإتمام، وإطلاق النية ينصرف إليه، فكان لا بد من نية القصر.

واكتفى المالكية باشتراط نية القصر في أول صلاة يقصرها في السفر، ولا يلزم تجديدها فيما بعدها من الصلوات كنية الصيام أول رمضان، فإنها تكفي عن باقي الشهر.

أما الحنفية: فاكتفوا بنية السفر قبل الصلاة، فمتى نوى السفر، كان فرضه القصر ركعتين، فلا ينويه عند الإحرام لكل صلاة. (الفقه على المذاهب الأربعة- الجزيري).

قال النووي: مذهبنا أنه لا يجوز القصر حتى ينويه عند الإحرام. قال العبدري: وبه قال أكثر الفقهاء. المجموع ٣٥٣/٤.

قال البهوتي: (تشترط نية القصر)؛ لأن الأصل الإتمام، وإطلاق النية ينصرف إليه كما لو نوى الصلاة مطلقا انصرف إلى الانفراد. (كشاف القناع عن متن الإقناع ٥١١/١).

ويرى بعض الحنابلة أنه لا يشترط ذلك، ولم يثبت عن الإمام أحمد نص يخالف هذا، وهو اختيار شيخ الإسلام: فيرى البعض أن نية القصر ليست شرطا في الصلاة لعدم الدليل، ولأن الرسول صلى الله عليه لم يأمر الصحابة بذلك فيلزم المأموم متابعة إمامه في الإتمام والقصر ولأن القصر هو الأصل في السفر فلا يحتاج إلى نية كالإتمام في الحضر.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ولم ينقل أحد عن أحمد أنه قال: لا يقصر إلا بنية، وإنما هذا من قول

الخرقي ومن اتبعه. ونصوص أحمد وأجوبته كلها مطلقة في ذلك كما قاله جماهير العلماء، وهو اختيار أبي بكر موافقة لقدماء الأصحاب كالخلال وغيره، بل والأثرم وأبي داود، وابراهيم الحربي وغيرهم، فإنهم لم يشترطوا النية لا في قصر ولا في جمع. وإذا كان فرضه ركعتين فإذا أتى بهما أجزأه ذلك سواء نوى القصر أم لم ينوه، وهذا قول الجماهير كمالك، وأبي حنيفة، وعامة السلف، وما علمت أحداً من الصحابة، والتابعين لهم بإحسان أنه اشترط نية لا في قصر ولا في جمع، ولو نوى المسافر الإتمام كانت السنة في حقه الركعتين، ولو صلى أربعاً كان ذلك مكروهاً كما لم ينوه. انتهى كلام ابن تيمية. مجموعة الرسائل والمسائل ٢٩٢.

والذي أرجحه الأخذ بالأحوط أنه متى نوى الإتمام لزمه الإتمام، ومتى نوى القصر لزمه القصر؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات". وهو قول عام يشمل كل عبادة ولا تفتقر صلاة القصر لدليل خاص.

متى يبدأ المسافر بقصر الصلاة؟

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن المسافر يبدأ بقصر الصلاة من حين تجاوز أبنية البلدة التي يسكن فيها.

قال ابن المنذر: أجمعوا على أن للذي يريد السفر أن يقصر الصلاة إذا خرج عن جميع البيوت من القرية التي خرج منها. (الإجماع ١/٤٠).

وقال الحافظ في (الفتح): "وهذا مذهب جمهور أهل العلم، أن المسافر إذا أراد سفراً تقصر في مثله الصلاة لا يقصر حتى يفارق جميع البيوت". (فتح الباري ٢/٢٥٩).

قال الإمام مالك: لا يقصر الصلاة الذي يريد السفر حتى يخرج من بيوت القرية، ولا يتم حتى يدخلها أو يقاربها. قال ابن عبد البر رحمه الله: وهذا مذهب جماعة العلماء إلا من شذ.

وقال: فإذا تأهب المسافر وخرج من حضره عازمًا على سفره فهو مسافر، ومن كان مسافرًا فله أن يُفطر ويقصر الصلاة إن شاء. (الاستذكار ٦/٧٨).

الأدلة على ذلك:

عن أنس رضي الله عنه قال: صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة أربعاً، وبذي الحليفة ركعتين. (أخرجه البخاري:١٠٣٩).

وروى مالك بإسناد صحيح عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا خرج حاجاً، أو معتمراً قصر الصلاة بذي الحليفة.

وعن أبي الأسود الدؤلي قال: خرج علي بن أبي طالب من البصرة فرأى خصاً فقال: لولا هذا الخص لصليت ركعتين. رواه ابن أبي شيبة، وعبد الرزاق وإسناده صحيح.

والخص: هو البيت من قصب أو شجر.

المسافة التي يجوز فيها القصر:

اعلم أنه قد اختلف الفقهاء اختلافاً كثيراً في تقدير مسافة السفر التي يُقصر فيها الصلاة على نحو عشرين قولاً حكاها الإمام ابن المنذر في كتابه الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف: ابتداءا من مسافة الميل وهو الذي ذهب إليه ابن حزم ومن وافقه، إلى ستة عشر فرسخاً وهو مذهب المالكية والشافعية والحنابلة، انتهاء بأربعة وعشرين فرسخاً وهو مذهب الأحناف. وسوف نذكر أشهر هذه الأقوال وأرجحها من حيث الدليل.

فقال الحنفية ومن وافقهم: أقل ما تقصر فيه الصلاة مسيرة ثلاثة أيام ولياليها من أقصر أيام السنة في البلاد المعتدلة، بسير الإبل ومشي الأقدام، ولا يشترط سفر كل يوم إلى الليل، بل أن يسافر في كل يوم منها من الصباح إلى الزوال (الظهر)، فالمعتبر هو السير الوسط مع الاستراحات العادية، والتقدير بثلاث مراحل قريب من التقدير بثلاثة أيام؛ لأن المعتاد من السير في كل يوم مرحلة واحدة، خصوصاً في أقصر أيام السنة. ولا يصح القصر في أقل من هذه المسافة. كما لا يصح التقدير عندهم بالفراسخ على المعتمد

الصحيح (انظر في هذا: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني ١/٤٩، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي ١/٢٠٩، حاشية ابن عابدين على الدر المختار ١/١٤٢).

وقال الجمهور (المالكية والشافعية والحنابلة): السفر الطويل المبيح للقصر المقدر بالزمن: يومان معتدلان أو مرحلتان بسير الأثقال ودبيب الأقدام، أي سير الإبل المثقلة بالأحمال على المعتاد من سير وحط وترحال وأكل وشرب وصلاة كالمسافة بين جدة ومكة أو الطائف ومكة أو من عُسفان إلى مكة، ويقدر بالمسافة ذهاباً: بأربعة بُرُد أو ستة عشر فرسخاً، أو ثمانية وأربعين ميلاً هاشمياً، والميل: ستة آلاف ذراع، كما ذكر الشافعية والحنابلة، وقال المالكية على الصحيح: الميل ثلاثة آلاف وخمس مئة ذراع، وتقدر بحوالي (٨٩كم) وعلى وجه الدقة:٨٨,٧٠٤ كم ثمان وثمانين كيلو وسبع مئة وأربعة أمتار، ويقصر حتى لو قطع تلك المسافة بساعة واحدة، كالسفر بالطائرة والسيارة ونحوها؛ لأنه صدق عليه أنه سافر أربعة برد. وهذه المسافة عند الشافعية محددة تماماً، فيضر نقص المسافة مهما قل. وهي تقريباً لا تحديداً عند الحنابلة والمالكية (انظر في هذا: بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد ١/١٤٢، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، شرح مختصر خليل للخرشي، المجموع للنووي ٤/٣٢٣، فتح العزيز شرح الوجيز للرافعي ٤/٢٦٤، مغني المحتاج للخطيب الشربيني ١/٢٦٦، المغني لابن قدامة ٢/٩١، شرح الزركشي على مختصر الخرقي ١/٢٥٤، كشاف القناع للبهوتي ١/٥٠٤.

وذهب الظاهرية إلى أن المسافة التي تقصر الصلاة في مثلها ثلاثة أميال، وذهب ابن حزم من الظاهرية ومن وافقه إلى أن مقدار المسافة التي تقصر الصلاة في مثلها ابتداء من مسافة الميل، قال ابن حزم: ومن خرج، عن بيوت مدينته، أو قريته، أو موضع سكناه فمشى ميلاً فصاعداً: صلى ركعتين، ولا بد إذا بلغ الميل، فإن مشى أقل من ميل: صلى أربعاً. (المحلى ٥/٢).

وذهب بعض اهل العلم كابن قدامة وابن تيمية وابن القيم من الحنابلة ومن وافقهم إلى أن مقدار المسافة التي تقصر الصلاة في مثلها المرجع فيه إلى العرف، قال ابن تيمية: فما كان سفرًا في عرف الناس فهو السفر الذي علق به الشارع الحكم....... فالصواب أن السفر ليس محددًا بمسافة مجموع الفتاوى ٢٤/٤١،٤٢.

وقال ابن القيم: (ولم يحدّ صلى الله عليه وسلم لأمته مسافة محدودة للقصر والفطر، بل أطلق لهم ذلك في مُطلق السفر والضرب في الأرض، كما أطلق لهم التيمم في كل سفر، وأما ما يُروى عنه من التحديد باليوم، أو اليومين، أو الثلاثة، فلم يصح عنه منها شيء البتة، والله أعلم) زاد المعاد: ١/١٧٥. ورجحه غير واحد من المعاصرين كالعلامة السعدي والشيخ ابن عثيمين والشيخ ابن جبرين والشيخ الألباني. وفي موضع آخر رجح ابن تيمية رواية القصر في بريد أو أدنى، قال: (أنه ليس تحديد من حد المسافة بثلاثة أيام بأولى ممن حدها بيومين، ولا اليومين بأولى من يوم، فوجب أن لا يكون لها حد، بل ما يسمى سفراً يشرع. وقد ثبت بالسنة القصر في مسافة، فعلم أن الأسفار ما قد يكون بريداً وأدنى ما يسمى سفراً في كلام الشارع البريد) مجموع الفتاوى ٢٤/٤٨.

والسبب في اختلافهم: معارضة المعنى المعقول من ذلك للفظ، وذلك أن المعقول من تأثير السفر في القصر أنه لمكان المشقة الموجودة فيه مثل تأثيره في الصوم، واذا كان الأمر على ذلك، فيجب القصر حيث المشقة. وأما من لا يراعي في ذلك إلا اللفظ فقط، فقالوا: قد قال النبي عليه الصلاة والسلام: "إن الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة"؛ فكل من انطلق عليه اسم مسافر جاز له القصر والفطر. (بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد ١/١٤٢).

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

رسولنا صلى الله عليه وسلم أسوتنا وقدوتنا

إعداد الشيخ: عبده أحمد الأقرع

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

وبعد: فلم تكن حاجة الأمة في عصر ما إلى معرفة سيرة خير البرية وأفضل البشرية، والمنة الربانية، وخليل رب البرية نبينا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليمات- معرفة اهتداء واقتداء- أشد إليها من هذا العصر؛ ذلك لأن الناظر في أصول البعض يجد العجب العجاب: ففئات تغلو في الجناب المحمدي، وترفعه إلى المقام الالهي، وفئات تجفو وتعرض وكأن ليس لهم نبي أمروا بالتأسي به غير مبالين بما أنزل في التنزيل: « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا » (الأحزاب: ٢١).

أما أهل الايمان الحق فإنهم يستمدون من الهدي النبوي كل أمورهم، فبهديه عليه الصلاة والسلام يهتدون، وعلى سنته يسيرون، ومن معين سيرته العطرة يرتوون، وكيف لا؟ وقد بلغ صلى الله عليه وسلم ذروة المثالية في كل أحواله البشرية الخالصة، وحسبه صلى الله عليه وسلم شهادة الله له « وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ » (القلم: ٤).

فيرى في رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداق هذه الآية في شأنه كله، في مسجده وبيته، في سلمه وحربه، في أصحابه وأهله، في أوليائه وأعدائه، في صبره وحلمه، في قوته وشدته، في رقته وتواضعه، إلى غير ذلك مما آفاء الله عليه- صلوات الله وسلامه عليه- من مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات وجميل الفضائل.

ومن المؤكد أن كل آية نزلت في وصف خلق من أخلاقه- صلوات الله وسلامه عليه- أو بأمر تربوي أخلاقي أو غيره ما نزلت إلا والمقصود بها أولاً هم المسلمون، سواءً أكانوا من الصحابة أم كانوا ممن خلفهم، ومهمة الرسول تنفيذها ليكون هو القدوة الماثلة أمامهم، فلا يعسر عليهم فهمها، ولا يشق عليهم امتثالها، وهذه هي المزية

للتربية الإسلامية.

ولنمض مع القرآن في شوطه الأخلاقي التربوي وهو يشكل للأمة منهجا متكاملا في التربية، أصله القرآن، ومنفذه الرسول صلى الله عليه وسلم.

فنقرأ في الحلم والعفو قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩).

ونقرأ قوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

وقوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (المائدة: ١٣).

فنحس لو أن جبالاً من الإساءة اجتمعت وتمخضت للسقوط على الرسول صلى الله عليه وسلم لتحطمت أجزاؤها ولما عثر لها على أثر إلا ما يتحدث به الناس عنها بمثل الحلم الذي ملأ نفسه صلى الله عليه وسلم، وقد لقي الرسول صلى الله عليه وسلم الكثير والكثير من بعض الأعراب ومن المنافقين والمشركين فما رئي صلى الله عليه وسلم إلا والحلم جاث في صدره يرسل الكلمات الندية على لسانه فتكون بلسمًا يذهب بكل أذى يقصد به قائله أو فاعله النيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينقلب عليه كسيرًا من ندى حلمه صلى الله عليه وسلم ما يبعث السكينة والحب في قلب مؤذيه، ويكون الصحابة من حواليه يرون ويسمعون، فيمضون بها امتثالاً وتحقيقًا، فعن أنس رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك؟ فالتفت إليه، فضحك، ثم أمر له بعطاء. (متفق عليه: البخاري (٦٠٨٨)، ومسلم (١٠٥٧).

وهكذا أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه العفو واقعًا عمليًا.

ونقرأ في الحياء قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡ﴾ (الأحزاب: ٥٣). فنقرأ في حروفها الحياء ماثلاً أمام أعيننا شاخصًا متحركًا متلفعًا برداء من الصمت البليغ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئًا يكرهه عرفناه في وجهه. متفق عليه: البخاري (٦١٠٢)، ومسلم (٢٣٢٠).

فنأخذ الحياء خلقًا رفيعًا من أخلاقه صلى الله عليه وسلم، كأنما سمعنا ورأيناه في آن واحد، نأخذ منه كما أخذ أصحابه صلى الله عليه وسلم.

ونقرأ في كرمه صلى الله عليه وسلم: عن جابر رضي الله عنه قال: ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء قط فقال لا. متفق عليه: البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئًا إلا أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة. مسلم (٢٣١٢).

ونقرأ في تواضعه صلى الله عليه وسلم: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم... فقولوا: عبد الله ورسوله». البخاري (٣٤٤٥).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول شافع، وأول مشفع، ولا فخر». صحيح الجامع (١٤٦٨).

ومع هذه الخصائص والميزات التي سما

بها إلى منزلة لا يساويه فيها غيره من أولي العزم من الرسل- فضلاً عمن سواهم- أضاف إلى ذلك ما يبرئ ساحته من الفخر- وحاشاه من كل نقص- فقال: «ولا فخر».

ونقرأ في إيثاره صلى الله عليه وسلم: عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببردة منسوجة، فقالت: نسجتها بيدي لأكسوكها، فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجًا إليها، فخرج إلينا وإنها لإزاره، فقال فلان: اكسُنيها ما أحسنها. فقال: «نعم». فجلس النبي صلى الله عليه وسلم في المجلس، ثم رجع فطواها، ثم أرسل بها إليه: فقال له القوم: ما أحسنت: لبسها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجًا إليها، ثم سألته، وعلمت أنه لا يرد سائلاً، فقال: إني والله ما سألته لألبسها، إنما سألته لتكون كفني. قال سهل: فكانت كفنه. البخاري (٣/١١٣- ١١٤).

ونقرأ في زهده صلى الله عليه وسلم: عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: والله يا ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال، ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار، قال: قلت: يا خالة! فما كان يُعيشكم؟ قالت: الأسودان التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار، وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقيناه. متفق عليه: البخاري (٢٥٦٧)، ومسلم (٢٩٧٢).

ونقرأ في رحمته صلى الله عليه وسلم حتى بأعدائه: عن أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: «أسلم» فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم فأسلم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار». البخاري (١٣٥٦).

ونقرأ في رفقه صلى الله عليه وسلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيًا بال في المسجد، فثار إليه الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوه وأهريقوا على بوله ذنوبًا من ماء، أو سجلاً من ماء، فإنما بُعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين». متفق عليه: البخاري (٦١٢٨)، ومسلم (٢٨٤).

ونقرأ في شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته: عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارًا فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها، وهو يذبُّهن عنها، وأنا آخذ بحُجَزكم عن النار، وأنتم تفلتون من يدي». مسلم (٢٢٨٥).

وفي عدله صلى الله عليه وسلم: عن عائشة رضي الله عنها أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت.. وفيه: فكلمه أسامة بن زيد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتشفع في حد من حدود الله؟»، ثم قام فاختطب ثم قال: «إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها». متفق عليه: البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨).

وكذلك في علاقته مع أهله صلى الله عليه وسلم وهو يتحدث عن نفسه. عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي». صحيح الجامع (٣٣١٤)؛ فكان صلى الله عليه وسلم جميل العشرة دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقة، ويضاحك نساءه، وكان مع ذلك يصبر على ما يراه منهن مما لا يسره.

ونقرأ في فراق فلذة كبده وثمرة فؤاده صلى الله عليه وسلم أنه قضى حياته ولم يترك من ذريته وراءه إلا ابنته فاطمة رضي الله عنها، فقد أدرك الموت كل بنيه وبناته، فذاق في صبر الأنبياء الجميل مرارة فقدهم،

وبكاهم واحدًا تلو الآخر، وما زاد صلى الله عليه وسلم حين مات ولده إبراهيم على قوله: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزنون». البخاري (١٣٥/٣).

وأيضًا نرى في بكائه صلى الله عليه وسلم: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «اقرأ عليَّ» قلت: يا رسول الله، أقرأ عليك، وعليك أُنزل؟ قال: «نعم»، فقرأت سورة النساء، حتى أتيت إلى هذه الآية: «فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا» (النساء: ٤١). قال: «حسبك الآن»، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان. متفق عليه: البخاري (٥٠٥٠)، ومسلم (٨٠٠).

وقد أراد الله سبحانه أن يرسل نبيه صلى الله عليه وسلم بهذه الصفات لتتربى الأمة على الكمال الأخلاقي الذي اشتملت عليه هذه الصفات، فيكون لها حظ من صفات نبيها، فتسودها الرأفة والرحمة، فتكون كما وصف الله نبيه وأصحابه، وإن تباعدت بها الأزمان وتناءت بين أفرادها الديار، وذلك قوله سبحانه: «مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا» (الفتح: ٢٩).

فإذا هي أمة ليست واحدة في دينها وعقيدتها فحسب، بل أيضًا في صفاتها الربانية التي قبستها من نبيها صلى الله عليه وسلم فتنشرها بين الأمم قاطبة، وتبشر بها الأجيال القادمة، فتنعطف إليها بإيمان وتسليم لما رأت منها.

إننا بحاجة إلى تجديد المسار، وتصحيح المواقف، ومدارسة السيرة ما يزيد الإيمان، ويعلو بالأخلاق، ويُقوِّم المسيرة. ولا سيما أن الإسلام انتشر في كثير من بلاد الدنيا بالقدوة الطيبة للمسلمين الأوائل التي كانت تبهر أنظار غير المسلمين وتحملهم على اعتناق الإسلام، والقدوة الحسنة التي يحققها الداعي بسيرته الطيبة هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام يستدل به سليم الفطرة راجح العقل من غير المسلمين على أن الإسلام حق من عند الله.

اللهم ارزقنا حسن التأسي بنبينا قدوتنا وأسوتنا.

تهنئة

تتقدم اللجنة العلمية وأسرة تحرير مجلة التوحيد بخالص التهنئة للابن العزيز الباحث: أحمد جمال المراكبي بمناسبة حصوله على درجة الدكتوراه في الحديث وعلومه، بتقدير: ممتاز

عن رسالته: منهج الحافظ ابن الجوزي في كتابه التحقيق في مسائل التعليق

في الجامعة الإسلامية العالمية مكتب تمثيل جامعة التضامن العربية الفرنسية بدولة النيجر

وتكونت لجنة الإشراف والحكم على الرسالة من كل من:

أ. د. **عماد الشربيني** أستاذ ورئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر مشرفًا.

أ.د. **منصور يوسف** أستاذ الحديث وعلومه - جامعة المدينة العالمية - عضوًا مناقشًا

أ.د. **حمادة قناوي** أستاذ الحديث وعلومه - الجامعة الإسلامية العالمية - عضوًا مناقشًا

عجائب الآثار في التراجم والأخبار

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله، وبعد.

كتاب عجائب الآثار في التراجم والأخبار أو تاريخ الجبرتى كما يسمى فإن يعتبر من أهم كتب التاريخ في القرن الثانى عشر والثالث عشر الهجرى إن لم يعتبر المصدر المصدق الوحيد الذي يصف مصر دون حيد إلى حاكم أو تحيز إلى شخص. كذلك هو عمل مؤسس لكل من يريد القراءة أو التأليف عن علي بك الكبير أو الحملة الفرنسية أو السنوات الأربع اللاحقة لها. وفضلاً عن ذلك هو كتاب فكري مؤسس في الثقافة العربية الحديثة. كتاب يحتاج إلى أكثر من قراءة وأكثر من زاوية نظر.

إعداد **محمد محمود فتحي**

محتويات الكتاب

كتاب عجائب الآثار في التراجم والأخبار كتاب في التاريخ كتبه المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتى ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أجزاء. الجزء الأول حتى آخر عام ١١٨٩ هـ. والثاني حتى آخر عام ١٢١٢ هـ. والثالث حتى آخر عام ١٢٢٠ هـ ، وقد انتهى الجبرتي من تدوين هذه الأجزاء الثلاثة في عام ١٢٣٦هـ ١٨٢٢م

دفع الجبرتي الاشتغال بكتابة تاريخه أن وقف موقف المعارضة لحكم محمد علي باشا منذ بداية حكمه لمصر وانشقاقه على الدولة العثمانية. وظل سنوات يترقب ما ستؤول إليه الأحداث في عهد هذا الرجل وكان خلال ذلك يرصد كل شيء، ويدوَن الحوادث والمتفرقات. ويسند كل ما يقول ويدون إلى مصدر ثقة أو شاهد عيان سماع عاصر الحدث أو سمع عنه. لقد تعرَض الجبرتي في سياق ذلك لكل شيء، فقد ذكر الأحوال الاقتصادية من زراعة وتجارة وفلاحة، والى أنواع النقود المتداولة في الدولة والى الأسعار وأنواع المقايضات التي كانت تحكم العلاقات التجارية. وتعرض إلى الحياة الاجتماعية بكل ما فيها من أحوال شخصية وعادات أسرية وقيم سائدة في المجتمع آنذاك. كما تعرض إلى الحياة الدينية والثقافية وأخبار الأدباء والعلماء المشهورين والمشايخ البارزين.(تراث الإنسانية، الدار المصرية للتأليف والترجمة).

الجبرتي

عبد الرحمن الجبرتي: أحد كبار المؤرخين في التاريخ العربي والإسلامي، عاصر الحملة الفرنسية على مصر، ودوَن وقائعها في كتابه الشهير «عجائب الآثار في التراجم والأخبار»، والذي يعد أحد أهم المراجع التاريخية لتلك الفترة، ولد عبد الرحمن بن حسن برهان الدين الجبرتي عام ١٧٥٤م، ينحدر نسبه من أصول هاشمية. قدم أبو جده من بلاد جبرت - بلاد زيلع وهي البلاد المعروفة بالصومال - إلى القاهرة

للدراسة في الأزهر، واستقر بها.

كان والده أحد أعلام الأزهر الشريف في عصره، وعلى جانب كبير من الثراء، حيث كان له ثلاثة بيوت، ومكتبة مليئة بالكتب القيِّمة والمخطوطات النادرة. وقد نشأ عبد الرحمن في هذا البيت العامر بالعلم والدين، وكان الذَّكر الوحيد الذي عاش لأبيه، فاهتم به كثيرًا ودفعه باتجاه تحصيل العلم؛ فحفظ القرآن الكريم وهو في سن الحادية عشرة، كما كان يحفظ الأحاديث والروايات والأخبار التي ترد على ألسنة العلماء الذين كانوا يترددون على منزل أبيه. وظل الجبرتي موجهًا اهتمامه إلى التاريخ، حتى أتت الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨م، وكان عمره آنذاك أربعة وأربعين عامًا، منذ ذلك الحين انصرف إلى تسجيل كل ما يرد من أخبارها أقوالا وأفعالا. وقد شملت ملاحظات الجبرتي حول الحملة الأبعاد السياسية والاجتماعية والجوانب التنظيمية للجيش الفرنسي، وقد ساعده في ذلك أنه كان يتردد على المنشآت الفرنسية في مصر، وكان يلتقي ببعض رجالهم. وفور جلاء الحملة الفرنسية انشغل الجبرتي بكتابة تاريخ مصر، وقد عُرف عنه معارضته لمحمد علي باشا، فقد طلب منه محمد علي أن يكتب كتابًا في مدحه، ولكن الجبرتي رفض ذلك، فهدده فرفض الجبرتي الانصياع تحت التهديد؛ وكان من عاقبة ذلك أن قتل ابنه كما يشير المؤرخون، فهدته الفاجعة، وظل يبكي على ابنه حتى فقد بصره، وتوفي بعده بثلاث سنوات عام (١٢٤٠ هـ/ ١٨٢٥م). (عبد الرحمن الجبرتي، دراسات وبحوث، بإشراف الدكتور أحمد عزت عبد الكريم).

منهج الكتاب

يقول عبد الرحمن الجبرتي في المقدمة: (إني كنت سودت أوراقا في حوادث آخر القرن الثاني عشر وما يليه من أوائل الثالث عشر الذي نحن فيه جمعت فيها بعض الوقائع إجمالية وأخرى محققة تفصيلية وغالبها محن أدركناها وأمور شاهدناها واستطردت في ضمن ذلك سوابق سمعتها ومن أفواه الشيخة تلقيتها وبعض تراجم الأعيان المشهورين من العلماء والأمراء المعتبرين وذكر لمع من أخبارهم وأحوالهم وبعض تواريخ مواليدهم ووفياتهم فأحببت جمع شملها وتقييد شواردها في أوراق متسقة النظام مرتبة على السنين والأعوام ليسهل على الطالب النبيه المراجعة ويستفيد ما يرومه من المنفعة).

لاشك أن الجبرتي قد استغرق في هذا العمل ليله ونهاره، واستمر يبحث عن مصادره ومراجعه، وبدأ يدون الأسماء، وكان من الطبيعي أن يبدأ بالمشايخ، ومن كان منهم شيخا للأزهر، ومشايخ آخرين. من كان أبوه يطلق عليهم الطبقة العليا، ثم الطبقة التي تليها ممن اشتهروا بالعلوم الفقهية والعقلية والنقلية والشعر والأدب والخطابة وغير ذلك. كما شرع يدوِّن أسماء الأمراء ومن بلغ منهم مشيخة البلد ومن شاركه في الحكم. استعان الجبرتي في عمله هذا بكل من اعتقد أن عندهم عونا. ومن هؤلاء صديقه المشهور إسماعيل الخشاب الذي التحق شاهدا بالمحكمة، وكان من المشهورين بالعلم والأدب في عصره. كان الجبرتي يشكو من غموض المئة سنة الماضية عليه، أي من عام ١٠٧٠ هـ حتى ١١٧٠ هـ، لأن هذه السنوات سابقة على حياته، ولذلك حرص على أن يدون الأسماء من الدواوين الرسمية، أما بعد ذلك فهو عليه هيِّن. يقول الجبرتي في شرح ذلك: " إنها تُستبهم عليَ (المئة الماضية إلى السنة السبعين) وأما ما بعدها فأمور شاهدتها، وأناس عرفتهم، على أني سوف أطوف بالقرافات (المقابر) وأقرأ المنقوش على القبور، وأحاول جهدي أن أتصل بأقرباء الذين ماتوا، فأطلع على إجازات الأشياخ عند ورثتهم، وأراجع أوراقهم إن كانت لهم أوراق، وأسأل المعمرين ماذا يعرفون عمن عايشوهم، وكان دقيقا لا يكتب عن حادثة إلا بعد أن يتأكد من صحتها وقد يؤخر التدوين حتى يحيط بالمصادر التي تصححها سواء بالتواتر أو بالشهادة.

(عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق وشرح حسن محمد جوهر وآخرين).

ترجمة الكتاب

نال كتاب الجبرتي ثناء كبيرا في أوساط الشعب ومن الحكام الأتراك، فقد حمله الوزير العثماني إلى الآستانة بتركيا وعرضه على السلطان العثماني سليم الثالث الذي أمر كبير أطبائه مصطفى بهجت بنقله إلى اللغة التركية فتم ذلك في عام ١٨٠٧م.

وإلى كتاب آخر نبحر من خلاله ونرسو على شطآنه.

والحمد لله رب العالمين.

الشباب عماد الأُمَّة (٢)

مميزات سن الشباب

إعداد د. جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، ومن تبع هداه. وبعد:

فقد تحدثنا في العدد السابق عن تعريف الشباب وأهمية العناية به، وفي هذا العدد إن شاء الله يكون الحديث عن "مميزات سن الشباب، وموقف الإسلام من هذه المميزات". وقبل الدخول في هذا الموضوع يجب أن نشير إشارة في غاية الأهمية إلى أن مرحلة الشباب تسبقها طبعًا وحتمًا مرحلة الطفولة، التي لا تقل خطورة وأهمية عن مرحلة الشباب، بل هي تعد بمثابة حجر الأساس لها، وكما هو معلوم فإنه إذا أهمل إعداد الأساس انهار البنيان. وكتاب الله تعالى يوضح هذه الحقيقة.

قال الله تعالى: "أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ". التوبة/١٠٩.

لذا كان لزامًا أن نشير إلى أهمية التأسيس في تلك المرحلة العُمرية الطفولية.

التأسيس قبل مرحلة الشباب:

هذه المرحلة التي تبدأ من ولادة الطفل بل من قبلها، إلى أن يبلغ الطفل رشده وأشده، فينمو في عقله الوعي، ويتحمل جسمه السعي. " فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ " . (الصافات/١٠٢).

ويقوم التأسيس هنا على ركيزتين أساسيتين: الأولى: التعويذ، والثانية: التعويد. ففي الأولى: اهتمت السنة النبوية بالطفل قبل ولادته، وفي مراحل نموّه المتتابعة، وبيّنت واجبات الآباء تجاه أبنائهم عند الولادة وبعدها، وتربيتهم في كنف التوجيهات النبوية، حتى يشب صالحًا يؤدي دوره المنوط به في خدمة هذا الدين. فالشيطان بالمرصاد للإنسان من لحظة اللقاء بين الزوجين، ولا يتركه بعد أبدًا. لذا على الرجل أن يكون على ذكر وطاعة حين إتيان أهله في الفراش، مصداقا لما رواه الشيخان في صحيحيهما وهذا لفظ البخاري ج١٤١.. عَن ابْنِ عَبَّاسٍ، يَبْلُغُ النَّبِيَّ صلى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرُّهُ». فإذا ما جاء المولود يعوذه أهله من الشيطان الرجيم، حتى يقطع على الشيطان الطريق في النَّيل من مولوده، وقد دلَّ عليه قول الله تعالى: " فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ". (آل عمران/٣٦). وقد نفع الله عز وجل بهذا التعويذ مريم عليها السلام، وكان من بركة

هذا الدعاء، ما رواه مسلم في صحيحه، ح١٤٦. عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان، فيستهل صارخا من نخسة الشيطان، إلا ابن مريم وأمه» ثم قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: «وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم».

كما على الوالدين أن يسموا مولودهما اسما حسنا، وهذا من حق الطفل على والديه، وفي صحيح مسلم ح٢ عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن». وعليهم أيضا تحنيك الطفل، والدعاء له بالبركة، وفي صحيح مسلم ح١٠١عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم، فأتي بصبي فبال عليه، فدعا بماء، فأتبعه بوله ولم يغسله».

مرحلة التعويد والتدريب

ومن المعلوم أن الطفل ليس مكلفا حتى يكبر ويحتلم، ومع ذلك فلا بد من إلزامه بأمور. والهدي النبوي دعا إلى أن يحرص ولي الأمر على تعويد الطفل الصلاة إذا بلغ السابعة من عمره، وأن يضربه عليها إذا بلغ عشر سنين إن تركها، زجرا له.

هكذا يكون التدرج في تعليم الطفل الصلاة، وتعويده على أدائها، وفي سنن أبي داود وغيره ح٤٩٥. عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها، وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع». وقال الألباني: حسن صحيح.

ومثله يقال في الصوم، ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يعودون ذلك صغارهم، وفي الصحيحين، واللفظ للبخاري: ح١٩٦٠. عن الربيع بنت معوذ، قالت: أرسل النبي صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: «من أصبح مفطرا، فليتم بقية يومه ومن أصبح صائما، فليصم». قالت: فكنا نصومه بعد، ونصوم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار.

وفي المجال الأخلاقي ينهى صلى الله عليه وسلم الكذب على الأطفال أو أمامهم، ويكفي هنا الاستدلال بما رواه أحمد في مسنده ح٩٨٣٦. عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " من قال لصبي: تعال هاك، ثم لم يعطه فهي كذبة ". بل كان صلى الله عليه وسلم يخالطهم ويجلس معهم ويمازحهم بما هو حق، ويسلم عليهم إذا لقيهم. وفي صحيح البخاري ح٦١٢٩ يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: إن كان النبي صلى الله عليه وسلم ليخالطنا، حتى يقول لأخ لي صغير: «يا أبا عمير، ما فعل النغير». والأحاديث كثيرة. اقتصرنا منها بإشارة تكفي الغرض وتقيم الدليل.

مميزات سن الشباب وخصائصه:

١ـ النشاط والقوة، والحماسة والفتوة.

٢. ذو مواهب وطاقات مع قلة الوعي والعلم والخبرات.

٣. ظهور المراهقة وتوهج الشهوة.

وإذا كانت هذه هي المميزات والخصائص فالأمر يحتاج ضرورة إلى:

١. التربية والتوجيه، والتوعية والتنبيه.

٢. إشعار الشباب بالمسؤولية وإعدادهم لتحملها.

٣. تزكية نفوسهم لضبط غرائزهم وشهواتهم.

أولا: في مجال التربية:

ينبغي أن يعلم الشباب العقيدة الصحيحة التي تبين الهدف من خلق الناس، وتوحيد الخالق سبحانه وتعالى، وأن الله جل وعلا لم يخلق الناس ليرعوا في الأرض رعي السوائم والبهائم، يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام، إنما كرمهم على جميع

المخلوقات ليوحدوا الله ويقيموا عبادته في الأرض. قال سبحانه: " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون" - الذاريات/٥١. وقال تعالى: "أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون" - المؤمنون/١١٥.

وقد ساق لنا القرآن الكريم نموذجا من الفتية الشباب الذين عرفوا توحيد الله فتمسكوا به ودعوا إليه، واستنكروا على قومهم اتخاذ آلهة من دون الله لا دليل لهم ولا برهان على فعلهم وشركهم بالله عز وجل.

قال جل شأنه: " نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا" - الكهف/١٣، ١٤.

وفي التربية والتوجيه وغرس العقيدة الصحيحة ذكر القرآن الكريم نموذجا آخر يتحدث عن توحيد الله تعالى وعدم الشرك به، وبيان حق الوالدين والوصية بهما، وكيفية التعامل معهما في إسلامهما أو في كفرهما، وعن صفات الله الحميدة وقوته وقدرته، وكذلك عن تحمل الشاب مسؤولية إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على البلاء، كما تنبه على التعامل بالأدب مع عباد الله وعدم الاغترار والتكبر عليهم. إذن فهي عقيدة وأخلاق، حق المعبود وحق العباد، كل هذا علم وتربية وتوجيه لا بد من تعليمه للشباب. وها هي الآيات توضح ذلك.

قال تعالى: " وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ" . لقمان ١٢-١٩.

ولتعليمهم أسباب العفة والطهارة وتزكية النفس واجتناب الفواحش قال لهم نبيهم عليه الصلاة والسلام فيما رواه عنه ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم شبابا لا نجد شيئا، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر الشباب، من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء». صحيح البخاري ح٥٠٦٦. ومعنى لا نجد شيئا: أي من المال والنفقات.

قال بدر الدين العيني ت:٨٥٥هـ رحمه الله: " قال النووي: اختلف العلماء في المراد بالباءة هنا على قولين: يرجعان إلى معنى واحد، أصحهما: أن المراد معناها اللغوي وهو الجماع، فتقدير من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤونته وهي مؤن النكاح فليتزوج، ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنه فعليه بالصوم ليقطع شهوته، يقطع شر منيه كما يقطعه الوجاء، وعلى هذا القول وقع الخطاب مع الشباب الذين هم مظنة شهوة النساء ولا ينفكون عنها غالبا. والقول الثاني: إن المراد هنا بالباءة مؤن النكاح، سميت باسم ما يلازمها، وتقديره: من استطاع منكم مؤن النكاح فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم. قالوا: والعاجز عن الجماع لا يحتاج إلى الصوم لدفع الشهوة، فوجب تأويل الباءة على المؤن" . عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٠/٦٨).

والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة 257

قصة مفتراة لجعل (الفرد) اسمًا من أسماء الله الحسنى

إعداد **علي حشيش**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: نواصل في هذا البحث تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصص التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص والى القارئ الكريم التخريج والتحقيق.

أولا: أسباب ذكر هذه القصص:

١) من أهم أسباب هذا البحث أنه متعلق بأسماء الله الحسنى. قال الإمام ابن القيم رحمه الله في «بدائع الفوائد» (١٦٧/١). القاعدة السابعة: «إن ما يطلق عليه تعالى في باب الأسماء والصفات توقيفيّ». اهـ.

ولقد بيّن ذلك الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في: «شرح القواعد المثلى» القاعدة الخامسة. فقال: «أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل بها، وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء فوجب الوقوف في ذلك على النص لقوله تعالى: « وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا » (الإسراء: ٣٦)».

٢) قلت: وللوقوف في الأسماء الحسنى على ما جاء به الكتاب والسنة يقتضي تخريج وتحقيق الأخبار حتى يتبين الصحيح من الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

٣) و(الفرد) أخرجه الإمام الحافظ البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات» ليبرهن أن (الفرد) اسم من أسماء الله الحسنى فجاء بقصة في خبر منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أخرج بعقبها قصة أخرى في خبر آخر منسوب إلى عيسى عليه السلام ليتخذ منه شاهدًا، ولم يبين البيهقي - عفا الله عنا وعنه- العلة حتى نقف على درجة الضعف في هذين الخبرين، و(الفرد) أخرجه بعض أصحاب كتب السنة وأخرجه أيضًا بعض كتب التفاسير كما سنبين من التخريج والتحقيق.

٤) وقد يحسب البعض أن هذا الأمر هيّن، ولكنه عند أهل الإسناد والاعتقاد عظيم فقد بين الشيخ ابن عثيمين في كتابه «فتاوى العقيدة»، ط: مكتبة السنة، القاهرة (١٤١٣هـ). المسألة (٢٠) عن الإلحاد في أسماء الله تعالى وأنواعه؟ فأجاب قائلاً: قد ذكر أهل العلم: أن للإلحاد في

أسماء الله تعالى أنواعًا يجمعها أن نقول: «هو الميل بها عما يجب اعتقاده فيها وهو على أربعة أنواع... ذكر في النوع الثاني: (ومن الإلحاد أن يسمى الله عز وجل بما لم يسم به نفسه ووجه كونه إلحادًا: أن أسماء الله عز وجل توقيفية فلا يحل لأحد أن يسمى الله باسم لم يسم به نفسه أو لم يسمه به نبيه صلى الله عليه وسلم مثل الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم)».

وهذه الأسباب تُحتم علينا تخريج هذه الأخبار التي جاءت بها هذه القصص لجعل «الفرد» اسمًا من أسماء الله الحسنى.

ثانيا: المتن:

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ» (البقرة: ١٨٦): فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم إنك أمرت بالدعاء وتكفلت بالاجابة، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، أشهد أنك فرد أحد صمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، وأشهد أن وعدك حق، ولقاءك حق، والجنة حق، والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأنك تبعث من في القبور». اهـ.

ثالثا: التخريج:

١) هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين ابن علي البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ في كتابه «الأسماء والصفات» (ص١٥٠)، ط: دار الجيل بيروت، وذلك عند ذكره (الفرد) ليثبت أنه اسمًا من أسماء الله الحسنى فقال: أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله الحربي ببغداد، أخبرنا أحمد بن سلمان الفقيه، حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، حدثنا محمد بن يزيد الرفاعي، حدثنا أبو بكر بن عياش، حدثنا الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ: «وإذا سألك عبادي عني...» الحديث.

٢) وأخرجه الإمام الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا المتوفى سنة ٢٨٢هـ في كتابه «الشكر» (ص٥٨)- كما جاء بملحق مجلة الأزهر صفر ١٤٠٤هـ قال: حدثنا محمد بن يزيد الرفاعي به- أي أن البيهقي أخرجه من طريق ابن أبي الدنيا.

٣) وأخرجه الإمام الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني المتوفى سنة (٥٣٥هـ) في كتابه «الترغيب والترهيب» (١١٣/٢) ح(١٢٦٥). ط: دار الحديث القاهرة- قال أخبرنا أبو نصر محمد بن أحمد التاجر، أنبأنا أبو سعيد محمد بن موسى، حدثنا محمد بن عبد الله الصفار، حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا به.

٤) وأخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» ح(٤٢٩- الغرائب الملتقطة). قال: أخبرنا الحداد، أخبرنا أبو نعيم، أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ في كتابه، حدثنا محمد بن إسحاق الضبعي، حدثنا الحسن بن علي بن زياد، حدثنا عبيد بن يعيش، حدثنا ابن فضيل، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، حدثني جابر مرفوعًا.

رابعا: التحقيق:

١) هذا الخبر الذي جاءت به القصة غريب:

حيث تبين من التخريج وجمع طرق الحديث أنه لم يرو هذا الحديث عن ابن عباس إلا أبو صالح، ولا عن أبي صالح إلا من رواية الكلبي.

ولذلك أورده الحافظ السيوطي في «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (١٩٦/١) ط: دار المعرفة- بيروت.

وقال: أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر»، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، والأصبهاني في «الترغيب»، والديلمي من طريق الكلبي، عن أبي صالح عن ابن عباس قال: حدثني جابر بن عبد الله مرفوعًا.

٢) وأورد هذا الحديث الحافظ ابن كثير في «تفسيره» عند آية (البقرة: ١٨٦) قال: روى ابن مردويه من حديث الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، حدثني جابر بن عبد الله مرفوعًا.

٣) قلت: وسكت الحافظ ابن كثير فلم يعقب على هذا الحديث، فيتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحديث ثابت، ولكن هيهات، فقد أسند ابن كثير ومن أسند فقد أحال، وهو الحافظ، ولذلك اقتصر على الجزء من السند الذي فيه الدلالة على العلة.

قلت: وعلة هذا الخبر: الكلبي: وهو محمد بن السائب الكلبي أبو النضر الكوفي النسابة الإخباري، قاله الذهبي في «الميزان» (٧٥٧٤/٥٥٦/٣).

أ) قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٧١/٢/٣): سألت أبي عن محمد بن السائب الكلبي فقال: الناس مجتمعون على ترك حديثه لا يشتغل به هو ذاهب الحديث. اهـ.

ب) قال الإمام الحافظ السعدي الجوزجاني في كتابه «أحوال الرجال» (٢٩): «الكلبي محمد بن السائب كذاب ساقط». اهـ.

ج) قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٥٥/٢): «الكلبي مذهبه في الدين ووضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه، يروي عن أبي صالح عن ابن عباس التفسير وأبو صالح لم ير ابن عباس ولا سمع منه شيئًا ولا سمع الكلبي من أبي صالح إلا الحرف بعد الحرف، فجعل لما احتيج إليه تخرج له الأرض أفلاذ كبدها، لا يحل ذكره في الكتب، فكيف الاحتجاج به». اهـ.

فالقصة واهية، والخبر موضوع من رواية كذاب ساقط ذاهب الحديث الناس مجتمعون على ترك حديثه.

خامسًا: خبر آخر بقصة واهية:

هذا الخبر جاء بقصة واهية أيضًا لجعل «الفرد» اسمًا من أسماء الله الحسنى. أخرجه الإمام الحافظ البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات» ص(١٥١)- عقب الخبر الأول. قال: وأخبرنا أبو طاهر الفقيه، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، حدثنا أحمد بن يوسف السلمي، حدثنا أبو المغيرة حدثنا إسماعيل بن عياش، قال: حدثني محمد بن طلحة، عن رجل، قال: إن عيسى ابن مريم عليه السلام كان إذا أراد أن يحيي الموتى صلى ركعتين يقرأ في الأولى: تبارك الذي بيده الملك، وفي الثانية تنزيل السجدة، فإذا فرغ مدح الله تعالى، فأثنى عليه، ثم دعا بسبعة أسماء: «يا قديم، يا حي، يا دائم، يا فرد، يا وتر، يا أحد، يا صمد». اهـ. وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٩١/٤٧) من طريق البيهقي.

التحقيق:

هذا الخبر مقطوع موضوع، أما عن كونه مقطوعًا؛ لأنه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم هو المرفوع، وليس من كلام الصحابي لأن ما أضيف إلى الصحابي هو الموقوف. أما هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية فهو: (مقطوع)، وهو ما أضيف للتابعي فما دونه من أتباع التابعين فمن بعدهم، فحصلت التفرقة في الاصطلاح بين المقطوع والمنقطع.

فالمنقطع من مباحث الإسناد بالسقط، والمقطوع من مباحث المتن من حيث إضافته إلى قائله.

قاله: الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» ص(٥٧)، ومحمد بن طلحة هو بن مصرف قاله ابن أبي حاتم في «التفسير» (٧٠٠٣)، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١٧٣/٢): «له أوهام من السابعة».

والسابعة كما بيّن في منهجه في «التقريب» من طبعة أتباع التابعين، وعليه فالمبهم في قوله «عن رجل»: إما أن يكون من أتباع التابعين أو من التابعين. فالخبر مقطوع لا تقوم به حجة، وكذلك خبر موضوع وعلامات الوضع ظاهرة عليه، ولذلك عندما أورد هذا الخبر الحافظ ابن كثير في «تفسيره» للآية (المائدة: ١١٠) قال: «هذا أثر عجيب جدًا». اهـ.

وباستقراء تفسيره لم يقله إلا على هذا الأثر أي ذكره على وجه التعجب، وهذا لا يقال إلا إذا كان المتن موضوعًا منكرًا؛ كما بيّنه الحافظ ابن حبان في «المجروحين».

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار
في بيان ضعيف الأحاديث القصار

علي حشيش

(٩٣٦) «اتبعوا العلماء؛ فإنهم سرج الدنيا، ومصابيح الآخرة».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» ص(١/٣) مكتبة الحرم النبوي «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧)، وقال: «فر: عن أنس».

قلت: «فر» ترمز إلى «مسند الفردوس» للديلمي.

والحديث أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» ح(١١٥- الغرائب الملتقطة).

والحديث: علته: القاسم بن إبراهيم الملطي، قال الإمام الحافظ الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» (٤٣٩): «كذاب»، وقال الإمام الحافظ الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٦٩٢١/٤٤٦/١٢): «كان كذابًا أفاكا يضع الحديث، روى عن لوين عن مالك عجائب من الأباطيل». اهـ.

(٩٣٧) «ما بُدئ بشيء يوم الأربعاء إلا تمَّ».

الحديث لا يصح: أورده الحافظ السخاوي في «المقاصد» ح(٩٤٣) وقال: «لم أقف له على أصل». اهـ.

ونقله عنه الإمام علي القاري في «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» ح(٢٧٥) وأقره.

(٩٣٨) «يوم الأربعاء يوم نحس مستمر».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٤٤/١) ح(٨٠١) ط: مكتبة المعارف الرياض.

قال: حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني، قال: حدثنا عبد الرحمن بن يونس أبو مسلم المستملي قال: حدثنا إبراهيم بن أبي حية، قال: حدثني جعفر عن أبيه، عن جابر بن عبد الله الأنصاري مرفوعًا ثم قال: «لم يرو هذا الحديث عن جعفر بن محمد إلا إبراهيم بن أبي حية». اهـ.

قلت: وإبراهيم بن أبي حية هو علة هذا الحديث، قال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٣): إبراهيم بن أبي حية: «منكر الحديث» وهذا المصطلح عند البخاري له معناه: قال الشيخ أحمد شاكر في «شرح اختصار علوم الحديث»: قول البخاري: «منكر الحديث»، فإنه يريد به الكذابين، ففي الميزان للذهبي (٥/١): (نقل ابن القطان: أن البخاري قال: «كل من قلت فيه: منكر الحديث، فلا تحل الرواية عنه»). اهـ.

وقال الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» (١٧): «متروك» وتقرر تركه مع البرقاني وابن حمكان.

(٩٣٩) «أبى الله أن يجعل للبلاء سلطانا على بدن عبده المؤمن».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» ح(٢٤٧- الغرائب الملتقطة) من طريق القاسم بن إبراهيم بن أحمد الملطي، عن أبي أمية المبارك بن عبد الله، عن مالك، عن ابن شهاب عن أنس مرفوعًا، وعلته القاسم بن إبراهيم الملطي الكذاب، الأفاك، روى عن أبي أمية المبارك بن عبد الله وعن لوين عن مالك عجائب من الأباطيل يضع الحديث كما بينا آنفًا.

ومما يدل على أنه من الأباطيل ما أخرجه الترمذي وابن ماجه والدارمي والحاكم وأحمد من حديث مصعب بن سعد عن أبيه مرفوعًا: «أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، والمؤمن يُبتلى على قدر دينه». وهو ثابت صحيح.

الحلقة 1

القاضي الباقلاني ت٤٠٣هـ- ١٠١٣م

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فهذا ما صدر به الحافظ الذهبي في كتابه (العلو) كلامه عن القاضي الباقلاني.. وقال في سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٩٠: هو "الإمام العلامة أوحد المتكلمين مقدَّم الأصوليين، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم، البصري، ثم البغدادي، ابن الباقلاني، صاحب التصانيف، وكان يُضرب المثل بفهمه وذكائه.. وكان ثقة وإمامًا بارعًا، صنَّف في الرد على الرافضة والمعتزلة، والخوارج والجهمية والكرامية، وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري، وقد يخالفه في مضائق، فإنه من نظرائه أخذ علم النظر عن أصحابه، وكان سيفًا على المعتزلة والرافضة والمشبهة، وغالب قواعده على السنة".. قال: "وسمعت علي بن محمد الحربي يقول: جميع ما كان يذكر أبو بكر بن الباقلاني من الخلاف بين الناس صنفه من حفظه، وما صنف أحد خلافًا إلا احتاج إلى أن يطالع كتب المخالفين، سوى ابن الباقلاني". اهـ.

إعداد **أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي**

الأستاذ بجامعة الأزهر

كما ذكره القاضي عياض في (طبقات المالكية) ص١٩١ - وبنحوه في (ترتيب المدارك) ٧/ ٤٥ - فقال: "هو الملقب بسيف السنة ولسان الأمة، المتكلم على لسان أهل الحديث وطريق أبي الحسن، واليه انتهت رئاسة المالكية في وقته، وكان له بجامع البصرة حلقة عظيمة".

نهل العلم من طائفة من علماء بغداد الكبار منهم: محمد بن أحمد بن مجاهد الطائي صاحب أبي الحسن الأشعري؛ وهذا أخذ الباقلاني عنه المعقول.. وأبو بكر بن مالك القطيعي، وأبو محمد بن ماسي، والحسين بن علي النيسابوري: وقد أخذ عنهم الحديث.. وأبو بكر بن مجاهد؛ درس عليه الأصول.. وأبو بكر الأبهري؛ درس عليه الفقه.. وابن أبي زيد القيرواني، وابن ماهي.

حدَّث عنه: الحافظ أبو ذر الهروي، ومحمد ابن أحمد السمناني، وقاضي الموصل، والحسين بن حاتم الأصولي.. وممن خرَّج من الأئمة: أبو عمر بن سعدى، وعبد الوهاب بن نصر المالكي، وأبو عمران الفاسي، وعلي بن محمد الحريري، وأبو عبد الله الأزدي، وأبو طاهر الواعظ.. ومن تلاميذه أيضًا: أبو عبد الرحمن السلمي وجماعة من أهل السنة بشيراز، ورافع بن نصر أبو الحسن البغدادي.

مكانته العلمية والأدبية وميزاته:

كان الباقلاني من العلم والفضل بحيث تنازعه الشافعية والحنابلة، فكلٌ يريد أن يشرف به، بل كان إمام الأشاعرة، وقائد الكتيبة في الحرب التي دارت رحاها بين الدولة العباسية والدولة الفاطمية، وكان لقلمه الأثر القوي في تمزيق أباطيل الفاطميين وهزيمتهم أنكر هزيمة.

كما كان رحمه الله ورعًا، كثير العبادة والتنفل، بعيدًا عن مواقع الشبهات، مترفعًا عن مواطن الشهوات، ومن الأقوال الجامعة النفيسة في سيرته: قول ابن عمار الميورقي فيه: «كان ابن الطيب فاضلاً، متورعًا، ممن لم تحفظ له قط زلة، ولا نسبت إليه

نقيصة، وكان يلقب بشيخ السنة، ولسان الأمة، وكان فارس هذا العلم، مباركا على هذه الأمة"، قال: "وكان حصنًا من حصون المسلمين، وما سُرّ أهل البدع بشيء مثل سرورهم بموته" كذا في (ترتيب المدارك).

فهو إمام من أئمة أهل السنة مُجمَعٌ على سعة حفظه، واتساع مداركه، وتنوع علومه، وقبل كل ذلك على إمامته، فقد قال عنه القاضي عياض: «إمام وقته»، وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان ٢٦٩/٤: «وكان في علمه أوحد زمانه»، وقال الذهبي في العبر ٢٠٧/٢: «أوحد وقته في فنه»، وقال الأتابكي في النجوم الزاهرة ٢٣٤/٤: "وكان في وقته أوحد زمانه»، وقال الصفدي في الوافي بالوفيات ١٧٧/٣: "كان في فنه أوحد زمانه».

شهد له أقرانه ومعاصروه بعلو شأنه في شتى الفنون، من فقه وأصول ولغة وكلام، قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٣٦٤/٣: «فأما الكلام فكان أعرف الناس به، وأحسنهم خاطرًا، وأجودهم لسانًا، وأوضحهم بيانًا وأصحهم عبارة»، وقال عن لغته وفصاحته: «كان أبو محمد اليافعي يقول: (لو أوصى رجل بثلث ماله أن يدفع إلى أفصح الناس لوجب أن يدفع لأبي بكر الأشعري)».

والباقلاني ممن يضرب المثل بسعة محفوظاته وكثرتها، وقدرته الهائلة على استحضارها أثناء التأليف، وعن هذه الصفة المميزة نقل لنا البغدادي أقوال ثلاثة من الأئمة، يصفون من خلالها هذه القدرة لدى هذا الإمام في الحفظ والاستحضار.

أولها: قول أبي بكر الخوارزمي: «كل مُصنِّف ببغداد إنما ينقل من كتب الناس إلى تصانيفه، سوى القاضي أبي بكر، فإن صدره يحوي علمه وعلم الناس»، والثاني: قول علي بن محمد الحربي المالكي: «كان القاضي أبو بكر الأشعري، يهم بأن يختصر ما يصنفه فلا يقدر على ذلك لسعة علمه وكثرة حفظه"، ثم الثالث:عن أبي الفرج محمد بن عمران الخلال قال: «وكان كل ليلة إذا صلى العشاء وقضى ورده وضع الدواة بين يديه، وكتب خمسًا وثلاثين ورقة تصنيفًا من حفظه».

فإذا كانت للقاضي هذه الطاقة الكبيرة في الحفظ والفهم والإدراك، وهذه القدرة العالية على استحضار آراء وأقوال العلماء على اختلاف مشاربهم، وتنوع مذاهبهم، من ذاكرته دون الرجوع إلى الكتب، فلا نستغرب إذن مما ذكره القاضي عياض عن أبي عبد الله بن سعدون الفقيه من: "أن سائر الفرق رضيت بالقاضي أبي بكر في الحكم بين المتناظرين"، كما لا نتعجب مما نقله عن أبي عمران الفاسي من قوله: «رحلتُ إلى بغداد وكنتُ قد تفقهت بالمغرب والأندلس عند أبي الحسن القابسي، وأبي محمد الأصيلي، وكانا عالمين بالأصول، فلما حضرت مجلس القاضي أبي بكر، ورأيت كلامه في الأصول والفقه مع المؤالف والمخالف، حقرت نفسي وقلت: لا أعلم من العلم شيئًا، ورجعت عنده كالمبتدئ».

وإن مما يزيد في بيان سعة علم القاضي، ما وقع له من مناظرات سواء مع مخالفيه من الفرق الإسلامية والكلامية الأخرى، أو مع النصارى حين وجهه عضد الدولة في بعض أسفاره إلى ملك الروم، حيث يتبين للناظر فيها ما يتميز به هذا الإمام من طول النفس وسعة العبارة وتوقد الذهن وسرعة البديهة ودقة الجواب وسلامة التعبير، حتى أن بطريرك النصارى أقر بعلمه وأدرك خطره حين سأله الملك بعد انتهاء المناظرات قائلاً: ما ترى في أمر هذا الشيطان؟ - يقصد عضد الدولة - قال: تقضي حاجته، وتُلاطف صاحبه، وتبعث بالهدايا إليه، وتخرج هذا العراقي من بلدك من يومك - إن قدرت - وإلا لم آمن الفتنة به على النصرانية.

لقد تميز القاضي أبو بكر بعدة مميزات جعلته يتبوأ منزلة رفيعة بين أقرانه من علماء عصره، وجعلت قلوب طلبة العلم تتشوف للنيل من بحر علومه التي لا ساحل لها، فقد كان رحمه الله تقيًا، ديِّنًا، فصيحًا، بليغًا، طويل النفس، عالي الهمة، قويَّ العبارة، بارعًا في المناظرات، ذكيًا، سريع البديهة، بل كان في غاية الذكاء والفطنة كما قال ابن كثير، وجيه الاستنباط سريع الجواب كما قال الزركلي.

ومما يُذكر من تمام اعتزازه بدينه، وعدم إظهار الذل والصغار لمن خالف أمر الله ورسوله، كائنًا

من كان: ما رواه الخطيب في تاريخ بغداد ٣/٣٦٦ من أن الباقلاني لما ورد مدينة الملك، وعُرِّف هذا الأخير خبره، وبُيِّن له محله من العلم وموضعه، فكر الملك في أمره وعلم أنه لن يفعل ما يجرى من رسم الرعية من تقبيل الأرض بين يدي الملوك، ومن وضع الملك سريره الذي يجلس عليه بحيث لا يمكن لأحد أن يدخل منه إلا راكعًا، فلما وضع سريره في ذلك الموضع، أمر بإدخال القاضي من الباب، فسار حتى وصل إلى المكان، فلما رآه تفكر فيه ثم فطن بالقصة فأدار ظهره، وأدار وجهه حينئذ إلى الملك! فعجب من فطنته، ووقعت له الهيبة في نفسه.. ويُقال: إن الملك أحضر بين يديه آلة الطرب المسماة بالأرغل ليستفز عقله بها، فلما سمعها الباقلاني خاف على نفسه أن يظهر منه حركة ناقصة بحضرة الملك، فجعل لا يألو جهدًا أن جرح رجله حتى خرج منها الدم الكثير، فاشتغل بالألم عن الطرب ولم يظهر عليه شيء من النقص والخفة، فعجب الملك من ذلك، ثم إن الملك استكشف الأمر فإذا هو قد جَرح نفسه بما أشغله عن الطرب فتحقق الملك من وفور همته وعلو عزيمته.. فلله در الباقلاني من عالم!، اعتز بدينه ولم يرض بالدنية فيه فأعزه الله، وذكره الناس في سرهم وعلانيتهم، فأطال الله ذكره وأبقى أثره، وورَث محبته في قلوب المؤمنين إلى يوم القيامة.

اجتهاده وثناء العلماء عليه:

كان الباقلاني أحد كبار علماء عصره، انتهت إليه رئاسة المذهب الأشعري، واليه انتهت رئاسة المالكية في وقته، ويُعد من أكابر أئمة الأشاعرة بعد مؤسسها أبي الحسن الأشعري، وقد عدَه الكثيرون من مجددي المائة الرابعة.. اشتهر أبو بكر الباقلاني بين شيوخه وأقرانه وتلاميذه، حتى صار يضرب المثل بفهمه وذكائه، وكان من الطبيعي أن يتحدث عنه الأئمة من أبناء عصره، الذين شهدوا له بقوة الفهم وسعة الإدراك، وحسن والمناظرة، وتيقظ البديهة، وطلاقة اللسان، ودقة المعاني، وجودة المباني.. ونذكر من غير ما ذكرنا ممن أثنى عليه وجاء ذكره في تراجم الباقلاني: ابن العماد في شذرات الذهب، قال: "القاضي أبو بكر ابن الباقلاني.. الأصولي المتكلم، صاحب المصنفات، وأوحد وقته في فنه.. وكانت له بجامع المنصور حلقة عظيمة".. وقال ابن الأهدل: "سيف السنة: القاضي أبو بكر بن الباقلاني الأصولي الأشعري.. مجدد الدين على رأس المائة الرابعة على الصحيح، وقيل جدد بأبي سهل الصعلوكي، صنف ابن الباقلاني تصانيف واسعة في الرد على الفرق الضالة.. وكان باطنه معمورًا بالعبادة والديانة والصيانة".. وقال عنه ابن تيمية في الفتوى الحموية: "هو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري، ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده".. وقال عنه ابن خلكان: "كان على مذهب أبي الحسن الأشعري، ومؤيدًا اعتقاده، وناصرًا طريقته، وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره.. وانتهت إليه الرياسة في مذهبه، وكان موصوفًا بجودة الاستنباط، وسرعة الجواب وسماع الحديث، وكان كثير التطويل في المناظرة، مشهورا بذلك عند الجماعة".. وقال عنه الصفدي في الوافي بالوفيات: "وكان ثقة عارفًا بالكلام، صنف (الرد على الرافضة والمعتزلة، والخوارج والجهمية)".

وممن أثنى على الباقلاني وخلد ذكره: ابن عساكر الدمشقي الذي مدحه في (تبيين كذب المفتري) وبيّن مآثره قائلا: "فأما علم الكلام فكان أعرف الناس به وأحسنهم خاطرًا، وأجودهم لسانًا وأوضحهم بيانًا وأصحهم عبارة" وقال: "أخبرني الشيخ أبو القاسم بن نصر في كتابه إليّ عن القاضي أبي المعالي بن عبد الملك قال: ذكر الشيخ الإمام أبو حاتم محمود بن الحسين القزويني أن ما كان يضمره القاضي الإمام أبو بكر الأشعري من الورع والديانة والزهد والصيانة أضعاف ما كان يُظهره"، وينقل الحافظ ابن عساكر في الكتاب عن الشيخ أبي الحسن التميمي الحنبلي قوله فيه: "تمسكوا بهذا الرجل فليس للسنة عنه غنىً أبدًا".

وفي الفتوى رقم (٣٢٦٠٣٥) بتاريخ ٢٥ جمادى الآخر ١٤٣٧ هـ- ٢٠١٦/٤/٣م على الشبكة

العنكبوتية عن مكانة أبي بكر الباقلاني بين العلماء؟.. جاء ما نصه:

"وقد كان- رحمه الله- في مسائل الاعتقاد على طريقة المتكلمين من الأشاعرة، إلا أنه كان من أقربهم إلى السنة، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- في درء تعارض العقل والنقل: (إن العراقيين المنتسبين إلى أهل الإثبات، من أتباع ابن كلاب، كأبي العباس القلانسي، وأبي الحسن الأشعري، وأبي الحسن علي بن مهدي الطبري، والقاضي أبي بكر بن الباقلاني، وأمثالهم، أقرب إلى السنة، وأتبع لأحمد بن حنبل وأمثاله من أهل خراسان المائلين إلى طريقة ابن كُلاب؛ ولهذا كان القاضي أبو بكر بن الطيب، يكتب في أجوبته أحيانًا: (محمد بن الطيب الحنبلي)، كما كان يقول: (الأشعري)، إذ كان الأشعري وأصحابه منتسبين إلى أحمد بن حنبل وأمثاله من أئمة السنة، وكان الأشعري أقرب إلى مذهب أحمد ابن حنبل وأهل السنة، من كثير من المتأخرين المنتسبين إلى أحمد الذين مالوا إلى بعض كلام المعتزلة، كابن عقيل، وصدقة بن الحسين، وابن الجوزي، وأمثالهم.. انتهى).. وقال عنه أيضا في الفتوى الحموية: (القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتكلم - وهو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري؛ ليس فيهم مثله لا قبله، ولا بعده.. انتهى)، وللفائدة يرجى مراجعة هذه الفتوى: (١٤٧٤٧٧) والله أعلم.

إن هذه الأقوال مع غيرها مما سبقت الإشارة إليه، لتُبيِّن لنا مكانة هذا العلم عند العلماء والأئمة، فلا غرو إذن أن نجد كتب التراجم والسير قد أجمعت على إمامته ورفعة شأنه، وأطبقت على شهرته وعلو نجمه، حتى شهد له بذلك القاصي والداني والقريب والبعيد والصديق والعدو، وحتى إنه لا يكاد يخلو كتاب من كتب الأصول إلا ويسرد آراء الباقلاني، ويذكر ترجيحاته واستدلالاته.. فأي شأن أعظم من هذا الشأن!، وأي منصب أعلى من هذا المنصب!.

حضور بديهته وقوة ذكائه وبراعته في المناظرة:

هذا، وقد عُرف أبو بكر بقوته في المناظرة، وتوسعه في العبارة وسرعته في الرد، قال ابن خلكان في وفيات الأعيان ٢٦٩/٤: "وكان موصوفا بجودة الاستنباط، وسرعة الجواب، وكان كثير التطويل في المناظرة مشهورًا بذلك عند الجماعة".. وقد جرت له عدة مناظرات سواء مع الروافض أو المعتزلة أو النصارى أو غيرهم من أصحاب الملل والنحل، ذكرها القاضي عياض في (ترتيب المدارك).. ومن ذلك تلك التي جرت له في مجلس ملك الروم، حين سأله بعض الأساقفة بحضرة ملكهم، فقال: ما فعلت زوجة نبيكم؟! وما كان من أمرها فيما رُميت به من الإفك؟، فقال مجيبًا له على البديهة: هما امرأتان ذكرتا بسوء، (مريم) و(عائشة)، فبرأهما الله عز وجل، وكانت (عائشة) ذات زوج ولم تأت بولد، وأتت (مريم) بولد ولم يكن لها زوج - يعني: أن عائشة أولى بالبراءة من مريم عليها السلام، فإن تطرق في الذهن الفاسد احتمالٌ إلى هذه فهو إلى تلك أسرع، وهما بحمد الله مبرأتان من السماء بوحي من الله عز وجل - فأفحمه.

فانظر- يا رعاك الله- إلى هذا الرد المفحم، والتركيب المنطقي في الحجاج، حيث استطاع أن يرد كيد الكافر في نحره، وأن يجعل قوله يرتد عليه.. بل انظر إليه وهو يطبق على خصمه من جميع الجهات، فلا يترك له مجالا للفرار، ومن أبرز المواقف التي يتضح فيها هذا الجانب؛ ذلك السؤال الذي وجهه الباقلاني للبطريرك قيِّم الديانة - وفي رواية لراهبهم - حيث سأله فقال له: (كيف الأهل والولد؟)!: فعظم قوله هذا عليه وعلى جميعهم، وتغيَّروا له، وصلَبوا على وجوههم، وأنكروا قول أبي بكر عليه، فقال: (يا هؤلاء، تستعظمون لهذا الإنسان اتخاذ الصاحبة والولد، وتبرءون به عن ذلك، ولا تستعظمونه لربكم عز وجهه، فتضيفون ذلك إليه، سوأة لهذا الرأي؛ ما أبين غلطه!)، فسُقط في أيديهم فلم يردُّوا جوابًا؛ انتهى.. وإن كان المقام يضيق لتأكيد سرعة جوابه وحضور بديهته وقوة رده، بذكر المزيد من هذه المناظرات، ولمن شاء أن يستفيض فليرجع إليها في مظانها فإنها لا تخلو من فائدة.

وللحديث صلة إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

آثار المعاصي على المسلم

إعداد: **الشيخ/صلاح نجيب الدق**

الْحَمْدُ للَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَام عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ الأسوةِ الْحَسَنَة وعلى آله وَصَحبِه أَجْمَعِين. أَمَّا بَعْدُ: فيمكن أن نُوجِز آثار المعاصي على الإنسان في الأمور التالية:

(١) المعاصي سبب غضب الله على صاحبها:

عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم «لَعَنَ اللَّه مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّه، وَلَعَنَ اللَّه مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللَّه مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْه، وَلَعَنَ اللَّه مَنْ غَيَّرَ الْمَنَارَ(أي حدود الأرض)» (مسلم حديث: ١٩٧٨).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: لَعَنَ اللَّه السَّارِقَ. (مسلم حديث: ١٦٨٧).

وعن ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: «لَعَنَ اللَّه الْخَمْرَ، وَشَارِبَهَا، وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا، وَمُبْتَاعَهَا (الذي يشتريها)، وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْه» (صحيح أبي داود للألباني حديث ٣١٢١).

وقال الشاعر:

تَعْصِي الإِلَهَ وأنتَ تَزْعُمُ حُبَّهُ
هذا وربِّي في القِياسِ شَنِيعُ
لو كانَ حُبُّكَ صادقًا لأَطَعْتَهُ
إنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

(جامع العلوم والحكم- لابن رجب الحنبلي- جـ٢- ص٣٩٧).

(٢) المعاصي تذل صاحبها:

الْمَعْصِيَةَ تُورِثُ الذُّلَّ لِصَاحِبِهَا؛ فَإِنَّ الْعِزَّ كُلَّ الْعِزِّ فِي طَاعَةِ اللَّه تَعَالَى. قَالَ تَعَالَى: (مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا) (فاطر: ١٠)؛ أَيْ فَلْيَطْلُبْهَا بِطَاعَةِ اللَّه، فَإِنَّهُ لَا يَجِدُهَا إِلَّا فِي طَاعَةِ اللَّه. وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ بَعْضِ السَّلَفِ: اللَّهُمَّ أَعِزَّنِي بِطَاعَتِكَ وَلَا تُذِلَّنِي بِمَعْصِيَتِكَ. (الجواب الكافي- لابن القيم- ص٨٦).

قَالَ عَبْدُ اللَّه بْنُ الْمُبَارَكِ (رحمه الله):

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ
وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا
وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ
وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا

(الآداب الشرعية- لابن مفلح الحنبلي- جـ١- ص١٤٤)

(٣) المعاصي سبب نسيان العلم:

الْعِلْمُ نُورٌ يَقْذِفُهُ اللَّه تَعَالَى فِي الْقَلْبِ، وَالْمَعْصِيَةُ تُطْفِئُ ذَلِكَ النُّورَ.

قَالَ عَبْدُ اللَّه بْنُ مَسْعُودٍ، رضي الله عنه،: «إِنِّي لَأَحْسَبُ أَنَّ الرَّجُلَ يَنْسَى الْعِلْمَ قَدْ عَلِمَهُ بِالذَّنْبِ يَعْمَلُهُ» (جامع بيان العلم- لابن عبد البر- جـ١. ص٦٧٥- رقم: ١١٩٥).

كان الإمام أبو حنيفة (رحمه الله) إذا أَشْكَلَتْ عَلَيْهِ مسألة قال لأصحابه ما هذا إلا لذنب أحدثته وكان يستغفر وربما قام وصلى فتنكشف له المسألة ويقول رجوت أني تيب عليَّ. (الجواهر المضية- محيي الدين الحنفي- جـ٢- ص٤٧٨).

قال علي بن خشرم (رحمه الله) رأيت وكيع

بن الجراح (رحمهُ الله) وما رأيت بيده كتابًا قط إنما هو يحفظ فسألته عن دواء الحفظ فقال: ترك المعاصي ما جربت مثله للحفظ. (تهذيب التهذيب- لابن حجر العسقلاني- جـ٢- ص١٢٩).

قَالَ مَالكُ بنُ أنس للشَّافعيّ، رحمهُما الله: إنّ الله ألقَى علَى قَلبكَ نورًا، فلاَ تُطفئْهُ بظُلمَة المَعْصيَة. (تهذيب الأسماء- للنووي- جـ١- ص٤٧)

قَالَ الإمامُ الشَّافعيُّ (رحمهُ الله):

شَكَوْتُ إلى وكيعٍ سُوءَ حفظي
فَأرْشَدني إلى تَرْك المَعَاصي
وأخبرني بأنّ العلمَ نُورٌ
ونورُ الله لا يُهدى لعاصي

(ديوان الشافعي- ص٦١)

(٤) المعاصي تجريء أعداء العاصي عليه:

كتب أميرُ المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه ومن معه من الأجناد: أما بعد، فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب. وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم. وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة؛ لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، والا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا. واعلموا أن عليكم في مسيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا وإن أسأنا، فرُبَّ قوم قد سُلط عليهم شرّ منهم كما سلط على بني إسرائيل، لما عملوا بمسَاخط الله، كفار المجوس فجاسُوا خلالَ الدّيار وكانَ وَعداً مَفْعُولاً. واسألوا الله العونَ على أنفسكم، كما تسألونه النصر على عدوكم. أسألُ الله ذلك لنا ولكم. (العقد الفريد لابن عبد ربه جـ١ ص٩٢).

(٥) المعاصي تميت قلب صاحبها:

المعاصي لها آثارٌ خطيرةٌ على القلوب أعظمُ من آثار الآلام على الأبدان، فهي تجلبُ الهموم والأحزان لصاحبها. وعندما تكثر المعاصي فإنها تميت القلب، فيصبح لا خير فيه.

قال سُبحانه: (فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ) (الزمر:٢٢).

(٦) المعاصي سبب قلة الرزق والبركة عند صاحبها:

إنَّ العَبْدَ ليُحْرَمُ الرِّزْقَ بالذَّنْب يُصيبُهُ، وتَمحق البَرَكَة عنده في كل شَيء. قال الله تَعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ) (الأعراف:٩٦).

وعَنْ أبي أُمامَة الباهلي، رَضيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَى الله عليه وسَلَّمَ: «إنَّ رَوْحَ القُدُس نَفَثَ في رُوعي (أوحيَ إليّ) أنَّ نَفْسًا لنْ تَموتَ حَتَّى تَسْتَكْمل أجَلها وتَسْتَوعب رزْقَهَا فاتَّقُوا الله وَأجْملُوا في الطَّلَب ولا يَحْملَنْ أحَدكُمْ اسْتبْطاءُ الرِّزق أنْ يَطْلُبَهُ بمَعْصية فإنَّ الله لا يُنالُ ما عنْدَهُ إلا بطاعته» (صَحيح الجَامع- للألباني- حديث: ٢٠٨٥).

(٧) المعاصي تحرم صاحبها من دعوة الملائكة:

قَالَ تَعالى: (ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ) (غافر: ٧: ٩).

(٨) المعاصي تسبب الإهانة لصاحبها:

قَال الله تعالى: (وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ) (الحج: ١٨).

قَال الإمامُ ابنُ القيم(رحمه الله):المَعَاصي تَسْلُبُ صَاحبَهَا أسْمَاءَ المَدْحِ والشَّرَف، وَتكْسُوهُ

أَسْماءَ الذَّمِّ والصَّغارِ، فتَسْلُبُه اسْمَ المُؤْمنِ، والبَرِّ، والمُحسنِ، والمُتّقي، والمُطيعِ، والمُنيبِ، والوليِّ، والوَرِعِ، والصّالحِ، والعابدِ، والخائفِ، والأوّابِ، والطّيِّبِ، والمَرضيِّ ونحوِها. وتَكْسُوه اسْمَ الفاجرِ، والعاصي، والمُخالفِ، والمُسيءِ، والمُفسدِ، والخَبيثِ، والمَسخوطِ، والزّاني، والسّارقِ، والقاتلِ، والكاذبِ، والخائنِ، وقاطعِ الرَّحمِ، والغادرِ وأمْثالِها. (الجواب الكافي- لابن القيم- ص٨٤).

(٩) المعاصي تجعل صاحبها ينسى نفسه

من الحقائق الثابتة أن المعاصي تجعل العبد ينسى نفسه، فيخسر الدنيا والآخرة. قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (الحشر: ١٨: ١٩).

أَمَرَ اللهُ تعالى بتقْواهُ ونَهى أنْ يتَشبَّهَ عِبادُهُ المُؤْمِنونَ بمَنْ نَسِيَه بتَرْكِ تَقْواهُ، وأخْبَرَ أنّه عاقَبَ مَنْ تَرَكَ التَّقْوى بأنْ أنْساهُ نفْسَه، أيْ أنْساهُ مَصالحَها، ومَا يُنْجيها منْ عَذابِه، ومَا يُوجِبُ له الحَياةَ الأبَديّةَ، وكَمالَ لذّتِها وسُرورِها ونَعيمِها، فأنْساهُ اللهُ ذلك كُلَّه جَزاءً لِما نَسِيَه منْ عَظَمَتِه وخَوْفِه، والقِيامِ بأمْرِه، فتَرى العاصيَ مُهْمِلًا لمَصالحِ نفْسِه مُضَيِّعًا لها، قدْ أغْفَلَ اللهُ قلْبَه عنْ ذِكْرِه، واتّبَعَ هَواهُ وكانَ أمْرُه فُرُطًا، قدِ انْفَرَطَتْ علَيْه مَصالحُ دُنْياهُ وآخرَتِه، وقدْ فَرَّطَ في سَعادَتِه الأبَديّةِ، واسْتَبْدَلَ بها أدْنى ما يَكونُ منْ لذّةٍ، إنّما هيَ سَحابةُ صَيْفٍ. وأعْظَمُ العُقوباتِ نِسْيانُ العبْدِ لنفْسِه، وإهْمالُه لها، وإضاعَتُه حظَّها ونَصيبَها منَ اللهِ، وبَيْعُها ذلك بالغَبْنِ (الخسران) والهَوانِ وأبْخَسِ الثّمنِ. (الجواب الكافي- لابن القيم- ص١٠٠).

(١٠) المعاصي تجعل صاحبها مفلسا من الحسنات:

عنْ أبي هُرَيْرةَ، رَضيَ اللهُ عنْهُ، أنّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قالَ: «أتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ؟»، قالوا: المُفْلِسُ فينا منْ لا دِرْهمَ لهُ ولا مَتاعَ، فقالَ: «إنّ المُفْلِسَ منْ أُمّتي يأْتي يَوْمَ القِيامةِ بصَلاةٍ، وصِيامٍ، وزَكاةٍ، ويأْتي قدْ شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأكَلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعْطى هذا منْ حَسَناتِه، وهَذا منْ حَسَناتِه، فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُه قبْلَ أنْ يُقْضى ما علَيْه أُخِذَ منْ خَطاياهُمْ فطُرِحَتْ علَيْه، ثُمَّ طُرِحَ في النّارِ» (مسلم حديث: ٢٥٨١).

(١١) المعاصي تهلك الإنسان وماله:

قال سبحانه حكاية عن قارون: (فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ) (القصص: ٧٩- ٨١).

(١٢) المعاصي تزرع المعاصي في قلب صاحبها:

عَنْ أبي هُرَيْرةَ، رَضيَ اللهُ عنْهُ، أنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قالَ: إنّ المُؤْمنَ إذا أذْنَبَ كانَتْ نُكْتةٌ سَوْداءُ في قلْبِه، فإنْ تابَ ونَزَعَ واسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قلْبُه، فإنْ زادَ، زادَتْ، فذلكَ الرّانُ (الطبع) الذي ذكَرَه اللهُ في كتابه: (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) (المطففين: ١٤). (صحيح ابن ماجه- للألباني- حديث: ٣٤٢٢)

قال الإمامُ ابنُ القيم (رحمه الله): "المَعاصي تَزْرَعُ أمْثالَها، وتُولِّدُ بعْضُها بعْضًا، حتّى يَعِزَّ على العبْدِ مُفارَقَتُها والخُروجُ منْها، كما قالَ بعْضُ السّلفِ: إنّ منْ عُقوبةِ السّيّئةِ السّيّئةَ بعْدَها، وإنّ منْ ثَوابِ الحسَنةِ الحسَنةَ بعْدَها".
(الجواب الكافي- لابن القيم- ص٨١).

وآخِرُ دعْوانا أنِ الحمْدُ للهِ ربِّ العالَمينَ. وصلّى اللهُ وسلَّمَ على نبيِّنا مُحمّدٍ، وعلى آلِه، وأصْحابِه، والتّابعينَ لهُمْ بإحْسانٍ إلى يَومِ الدِّينِ.

محمد صلى الله عليه وسلم

في نظر أعدائه من المستشرقين الغربيين

إعداد التحرير

الحمد لله
والصلاة والسلام
على رسول الله، وبعد:

فإن من الكتب المهمة التي دوّنها علماء جمعية أنصار السنة المحمدية كتاب: "رسالة محمد نور أضاء العالم"، لفضيلة الدكتور: جمال عبد الرحمن، حفظه الله تعالى، وقد طبع الكتاب طبعتين:

الطبعة الأولى، عام، ١٤٢٨ هـ ــ ٢٠٠٧م.
الطبعة الثانية: عام: ١٤٢٩ هـ ــ ٢٠٠٨م.

الناشر: دار طيبة الخضراء - مكة المكرمة - العزيزية.

وقد نفدت الطبعتان، وهو يجهز للطبعة الثالثة، إن شاء الله، وقد جعل المؤلف الكتاب تحت سبعة عناوين:

- نبذة عن حياة النبي عليه السلام.
- صفاته ومعجزاته.
- حزنه وبكاؤه.
- بلاغته في مخاطبة كل القبائل بلهجاتها.
- منهجه في تربية الأمة.
- طريقته في معاملة مخالفيه.

من فصول الكتاب المهمة: فصل: محمد عليه السلام في نظر أعدائه من المستشرقين الغربيين.

وهاك مقتطفات من هذا الفصل، وقد صدره المؤلف بقوله:

يستطيع العدو عادة أن يذم ويشتم، ويبحث عن المثالب والمعايب، ويحاول إسقاط خصمه وغريمه والقضاء عليه، وأحسن أحواله أن يسكت ويكف لسانه، أما أن يتحول العدو إلى المدح والثناء والإعجاب من غير اضطرار أو مصلحة؛ فذلك العجب العجاب، والأمر المثير للدهشة والاستغراب. لكن تزول الدهشة والعجب، ولا يقال ما السبب؛ إذا عرف أن ذلك المدح والثناء والإعجاب بمثل نبينا محمد . فهو الذي اجتمع على تزكيته العدو مع الصديق.

ولذلك قال الله تعالى له في كتابه الكريم: (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) (الأنعام: ٣٣).

فماذا قال المستشرقون من الغرب والمثقفون والأساتذة والمفكرون بعد نظرة فاحصة، ووقفة منصفة حول النبي محمد ودينه ودعوته وأثرها على العالمين؟

تواضعه رغم تمكنه وانتصاراته:

يقول عنه واشنجتون ايرفنج (مستشرق أمريكي في كتابه «حياة محمد، صلى الله عليه وسلم»): «كانت تصرفات الرسول في أعقاب فتح مكة تدل على أنه نبي مرسل، لا على أنه قائد مظفر، فقد أبدى رحمة وشفقة على مواطنيه برغم أنه أصبح في مركز قوي، ولكنه توَّج نجاحه وانتصاره بالرحمة والعفو». نعم؛ هذا الذي أوردته السنة النبوية «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

أما بلان أرنولد توينبي المؤرخ البريطاني المعاصر فيبين أن التوحيد عند محمد والعمل بمقتضيات هذا التوحيد كان سبب تمكينه في الأرض. فيقول في كتابه الذي اختصره المستر سومر فيل: «لقد كرس محمد حياته لتحقيق رسالته في كفالة هذين المظهرين في البيئة الاجتماعية العربية، وهما الوحدانية في الفكرة الدينية، والقانون والنظام في الحكم. وتم ذلك فعلاً بفضل نظام الإسلام الشامل الذي ضمَّ بين ظهرانيه الوحدانية والسلطة التنفيذية معا.. فغدت للإسلام بفضل ذلك قوة دافعة جبارة، لم تقتصر على كفالة احتياجات العرب ونقلهم من أمة جهالة إلى أمة متحضرة؛ بل تدفق الإسلام من حدود شبه الجزيرة، واستولى على العالم بأسره من سواحل الأطلسي إلى شواطئ السهب الأوراسي..) انتهى.

> كانت تصرفات الرسول في أعقاب فتح مكة تدل على أنه نبي مرسل، لا على أنه قائد مظفر، فقد أبدى رحمة وشفقة على مواطنيه برغم أنه أصبح في مركز قوي، ولكنه توج نجاحه وانتصاره بالرحمة والعفو

أثر العظمة الفريدة والقوة الشديدة للنبي ولدينه:

يقول ول ديورانت (في كتابه «قصة الحضارة، ص ٤). وهو مؤلف أمريكي معاصر): «إذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس قلنا إن محمدًا كان من أعظم عظماء التاريخ، فلقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحا لم يدانه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله، وقل أن نجد إنسانا غيره حقق ما كان يحلم به، ولم يكن ذلك لأنه هو نفسه كان شديد التمسك بالدين وكفى، بل لأنه لم يكن ثمة قوة غير قوة الدين تدفع العرب في أيامه إلى سلوك ذلك الطريق الذي سلكوه. وكانت بلاد العرب لما بدأ الدعوة صحراء جدباء، تسكنها قبائل من عبدة الأوثان قليل عددها، متفرقة كلمتها، وكانت عند وفاته أمة موحدة متماسكة. وقد كبح جماح التعصب والخرافات، وأقام فوق اليهودية والمسيحية ودين بلاده القديم دينا سهلا واضحا قويا، وصرحا خلقيا قوامه البسالة والعزة القومية، واستطاع في جيل واحد أن ينتصر في مائة معركة، وفي قرن واحد أن ينشئ دولة عظيمة، وأن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم في نصف العالم.

ويقول توماس كارليل الكاتب الإنجليزي المعروف (في كتابه الأبطال وعبادة الأبطال ص ٥٠) مدافعًا عن النبي ضد من يشنون عليه حملات الكذب والتضليل: «هل رأيتم قط.. أن رجلاً كاذبًا يستطيع أن يوجد دينًا عجبًا.. إنه لا يقدر أن يبني بيتًا من الطوب!

فهو إذا لم يكن عليمًا بخصائص الجير والجص والتراب وما شاكل ذلك، فما ذلك الذي يبنيه يبيت، وانما هو تلّ من الأنقاض وكثيب من أخلاط المواد، وليس جديرًا أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرنًا يسكنه مائتا مليون من الأنفس، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم فكأنه لم يكن، واني لأعلم أن على المرء أن يسير في جميع أموره طبق قوانين الطبيعة والا أبت أن تجيب طلبته.. كذب ما يذيعه أولئك الكفار وإن زخرفوه حتى تخيلوه حقًا.. ومحنة أن ينخدع الناس شعوبًا وأممًا بهذه الأضاليل".

أثر الإسلام في العالم:

ويقول غوستاف لوبون في كتابه «حضارة العرب»: «جمع محمد قبل وفاته كلمة العرب، وبني منهم أمة واحدة خاضعة لدين واحد مطيعة لزعيم واحد، فكانت في ذلك أيته الكبرى.. ومما لا ريب فيه أن محمدًا أصاب في بلاد العرب نتائج لم تصب مثلها جميع الديانات التي ظهرت قبل الإسلام، ومنها اليهودية والنصرانية ولذلك كان فضله على العرب عظيمًا...

ولعظيم إنجازه أنصفه الغربيون رغم عماهم؛ هذا ما قاله لوبون أيضًا (ص ١١٥) يقول: «إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد من أعظم من عرفهم التاريخ، وقد أخذ علماء الغرب ينصفون محمدًا مع أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله".

هيا إلى الإسلام وليس من الإسلام

يقول جوستاف لوبون: (في كتابه حضارة العرب ص ١٢٥) «ساعد وضوح الإسلام البالغ وما أمر به من العدل والإحسان كل المساعدة على انتشاره في العالم، ونفسر بهذه المزايا سبب اعتناق كثير من الشعوب النصرانية للإسلام، المصريين الذين كانوا نصارى أيام حكم قياصرة القسطنطينية فأصبحوا مسلمين حين عرفوا أصول الإسلام، كما نفسر السبب في عدم تنصر أي أمة بعد أن رضيت بالإسلام دينا، سواء أكانت هذه الأمة غالبة أم مغلوبة».

> “ إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد من أعظم من عرفهم التاريخ، وقد أخذ علماء الغرب ينصفون محمدا مع أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله ”

سماحة الإسلام

يقول أستاذ اللغات الألماني آدم ميتز: (في كتابه الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ٦٨/١) «ولم يكن في الدين الإسلامي ما يغلق دون أهل الذمة أي باب من أبواب الأعمال، وكان قدمهم راسخا في الصنائع التي تدر الأرباح الوافرة، فكانوا صيارفة وتجارًا وأصحاب ضياع وأطباء. بل إن أهل الذمة نظموا أنفسهم بحيث كان معظم الصيارفة والجهابذة في الشام مثلاً يهودًا، على حين كان أكثر الأطباء والكتبة نصارى. وكان رئيس النصارى في بغداد هو طبيب الخليفة، وكان رواد اليهود وجهابذتهم عنده».

إمام التوحيد سيد العظماء ومحقق أعظم الإنجازات في أقصر الأوقات:

ثم يبين الباحث الفرنسي المعاصر جاك ريسلر كيف كان الرسول عظيمًا وهو يحقق أعظم الإنجازات في أقصر الأوقات؛ يقول في كتابه (الحضارة العربية ص ٣٧)؛ وكان لزامًا على محمد أن يبرز في أقصر وقت ممكن تفوق الشعب العربي، عندما أنعم الله عليه بدين سام في بساطته ووضوحه، وكذلك بمذهبه الصارم في التوحيد في مواجهة التردد الدائم للعقائد الدينية. واذا ما عرفنا أن هذا العمل العظيم أدرك وحقق في أقصر أجل أعظم أمل لحياة إنسانية؛ فانه يجب أن نعترف أن محمدا ن يظل في عداد أعظم الرجال الذين شرف بهم تاريخ الشعوب والأديان».

يقول توماس كارليل الكاتب الإنجليزي المعروف (في كتابه " الأبطال" ص ٥٠) مدافعًا عن النبي ضد من يشنون عليه حملات الكذب والتضليل؛

«هل رأيتم قط.. أن رجلاً كاذبًا يستطيع أن يوجد دينًا عجبًا.. إنه لا يقدر أن يبني بيتا من الطوب! فهو إذا لم يكن عليما بخصائص الجير والجص والتراب وما شاكل ذلك، فما ذلك الذي يبنيه ببيت، وإنما هو تل من الأنقاض وكثيب من أخلاط المواد، وليس جديرا أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرنا يسكنه مائتي مليون من الأنفس، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم فكأنه لم يكن، واني لأعلم أن على المرء أن يسير في جميع أموره طبق قوانين الطبيعة والا أبت أن تجيب طلبته.. كذب ما يذيعه أولئك الكفار وإن زخرفوه حتى تخيلوه حقًا.. ومحنة أن ينخدع الناس شعوبًا وأممًا بهذه الأضاليل.

تعظيم النبي حيًا وميتًا

تقول الكاتبة الإنجليزية إيفلين كوبولد: «لعمري، ليجدن المرء في نفسه ما تقدم إلى قبر الرسول روعة ما يستطيع لها تفسيرًا، وهي روعة تملأ النفس اضطرابًا وذهولاً ورجاءً وخوفًا وأملاً، ذلك أنه أمام نبي مرسل وعبقري عظيم لم تلد مثله البطون حتى اليوم.. إن العظمة والعبقرية يهزان القلوب ويثيران الأفئدة فما بالك بالعظمة إذا انتظمت مع النبوة؟ وما بالك بها وقد راحت تضحي بكل شيء في الحياة في سبيل الإنسانية وخير البشرية؟

وتقول: «لقد استطاع النبي القيام بالمعجزات والعجائب، لما تمكن من حمل هذه الأمة العربية الشديدة العنيدة على نبذ الأصنام وقبول الوحدانية الإلهية.. لقد وفق إلى خلق العرب خلقًا جديدًا ونقلهم من الظلمات إلى النور.

وتتحدث عن كرمه وبره وتواضعه، فتقول: «مع أن محمدًا كان سيد الجزيرة العربية.. فإنه لم يفكر في الألقاب، ولا راح يعمل لاستثمارها، بل ظل على حاله مكتفيًا بأنه رسول الله، وأنه خادم المسلمين، ينظف بيته بنفسه ويصلح حذاءه بيده، وكان ريمًا بارًا كأنه الريح السارية، لا يقصده فقير أو بائس إلا تفضل عليه بما لديه، وما لديه كان في أكثر الأحايين قليلاً لا يكاد يكفيه.

> “ مع أن محمدًا كان سيد الجزيرة العربية.. فإنه لم يفكر في الألقاب، ولا راح يعمل لاستثمارها، بل ظل على حاله مكتفيًا بأنه رسول الله، وأنه خادم المسلمين، ينظف بيته بنفسه ويصلح حذاءه بيده. ”

يا مسلمون، أيهما أهون البدء أم الإعادة؟

يقول جواهر لال نهرو: «المدهش حقًا أن نلاحظ هذا الشعب العربي الذي ظل منسيًا أجيالاً عديدة بعيدًا عما يجري حوله؛ قد استيقظ فجأة ووثب بنشاط فائق أدهش العالم وقلبه رأسًا على عقب. وأن قصة انتشار العرب في آسيا وأوروبا وافريقيا، والحضارة الراقية والمدنية الزاهرة التي قدموها للعالم هي أعجوبة من أعجوبات التاريخ". (لمحات، ص٢٣).

ويقول أيضًا (ص ٢٧): «سار العرب من فتح إلى فتح، وكثيرًا ما ربحوا الحروب بدون قتال. وفي غضون خمسة وعشرين عامًا من وفاة الرسول فتح العرب جميع بلاد فارس وسوريا وأرمينية وجزءًا من أواسط آسيا الشرقية ومصر وجزءًا من شمال إفريقيا. وقد سلمت لهم مصر بسهولة؛ لأنها كانت قد قاست كثيرًا من استبداد الإمبراطورية الرومانية ومن الحروب الطائفية".

فما أجهل الناس إذا تركوا سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأعرضوا عنها!، وما أشد بؤس البشرية متى ابتعدت عن هدايات سنته صلوات ربي وسلامه عليه.

مقالات في معاني القراءات

إعداد د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، فمع بعض معاني القراءات الواردة في بعض سور كتاب الله الكريم، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

من سورة الإسراء

قوله تعالى: (فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ) (الإسراء: ٧).

القراءات: (ليَسُوءُوا) قرأ الكسائي بالنون ونصب الهمزة (لنسوءَ) فهو من فعل الله، أي لنسوء نحن وجوهكم مجازاة لسوء فعلكم. وقرأ ابن عامر وشعبة وحمزة وخلف بالياء ونصب الهمزة (ليسوءَ) والمعنى: فإذا جاء وعد المرة الآخرة من مرتيْ الإفساد ليسوء الوعد وجوهكم. والباقون بالياء وضم الهمزة بعدها واو الجمع (ليسوءُوا) والمعنى: ليسوءَ الرجال وأولو البأس الشديد وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة (معاني القراءات للأزهري ص٢٦٦).

قوله تعالى: (وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ) (الإسراء: ١٣).

معنى الآية: قال ابن جرير الطبري -رحمه الله-: وكل إنسان منكم يا معشر بني آدم، ألزمناه نحسه وسعده، وشقاءه وسعادته، بما سبق له في علمنا أنه صائر إليه، وعامل من الخير والشر في عنقه، فلا يجاوز في شيء من أعماله ما قضينا عليه أنه عامله، وما كتبنا له أنه صائر إليه، ونحن نخرج له إذا وافانا كتابا يصادفه منشورًا بأعماله التي عملها في الدنيا، وبطائره الذي كتبنا له، وألزمناه إياه في عنقه، قد أحصى عليه ربه فيه كل ما سلف في الدنيا (تفسير الطبري - سورة الإسراء:١٣).

قوله تعالى: (وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا) الإسراء: ١٣.

القراءات: قرأ أبو جعفر بالياء المضمومة وفتح الراء (ويُخـرَجُ) مبنيًا للمجهول، ويعقوب بالياء المفتوحة وضم الراء (ويَخرُج)، والمعنى أن عمله يخرج له يوم القيامة كتابًا (نصب على أنه حال)، أي ذا كتاب، فهو مثبت في كتاب (لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا)، وقرأ الباقون بالنون المضمومة وكسر الراء (ونُخْرِجُ) و(كتابًا) على أنه مفعول به، والمعنى أن الله أخبر أنه ألزم خلقه ما ألزمهم، وهو الذي يخرجه لهم يوم القيامة

قوله تعالى: (يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا) (الإسراء: ١٣).

القراءات: (يلقاه): قرأ ابن عامر وأبو جعفر بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف (يُلقَّاه)،

وقرأ الباقون بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف (يَلْقَاه).

المعنى: (يُلَقَّاه) جعل الفعل لغير الإنسان، أي الملائكة تتلقاه بكتابه الذي فيه نسخة عمله، ومعنى (يَلْقَاه) جعل الفعل للإنسان؛ لأن الله تعالى إذا ألزمه طائره لقي هو الكتاب، ومعناهما متقارب (حجة القراءات لابن زنجلة ص١٨٧).

قوله تعالى: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا) (الإسراء: ١٦).

القراءات: (أمرنا) قرأ يعقوب بمد الهمزة (آمرنا)، والباقون بقصرها، وأما قراءة (أمَّرْنا) فهي قراءة شاذة تفسيرية.

المعنى: معنى (أَمَرنا) أي أمرًا قدريًا؛ فإن الله عز وجل لا يأمر بالفحشاء، أو المعنى: أمرناهم بالطاعة ففسقوا فحق عليهم العذاب، وهو كقولك: أمرتك فعصيتني، ومعنى قراءة (آمرنا): أي أكثرنا عدد المترفين، وقيل معناهما واحد، وأما قراءة (أَمَّرْنا) الشاذة فمعناها جعلنا لهم إمرة وسلطانا (معاني القراءات للأزهري ص٢٦٨، وتفسير ابن كثير سورة الإسراء: ١٦).

قوله تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا) الإسراء:٣١.

القراءات: (خطئا) قرأ ابن كثير بكسر الخاء وفتح الطاء وألف ممدودة بعدها (خِطَاءً)، وابن ذكوان وأبو جعفر بفتح الخاء والطاء من غير ألف ولا مد (خَطَأً)، والباقون بكسر الخاء وإسكان الطاء (خِطْئًا) ولا بد من التنوين والهمز للجميع.

المعنى: معنى (خِطْئًا) و(خِطَاءً) إثمًا كبيرًا، وهو المتعمد من الذنوب، ومعنى (خَطَأً) أي مجانبًا للصواب، وقد يأتي بمعنى الخِطْء (الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٩٨/٥.

قوله تعالى: (كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا) الإسراء: ٣٨.

القراءات: (سيئه) قرأ نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بفتح الهمزة، وبعدها تاء تأنيث منصوبة منونة (سيئةً)، والباقون كحفص (سيئُهُ).

المعنى: على قراءة (سيئُهُ) تقديره: كل ما تقدم ذكره (من قوله "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه") مما أمرتم به ونُهيتم عنه كان سيئه- وهو ما نهيتم عنه خاصة- كالشرك وعقوق الوالدين وقتل الأولاد أمرًا مكروهًا، وعلى قراءة (سيئةً): يشير إلى النهيَيْن المتقدمَيْن قريبا وهما: قفو ما ليس به علم، والمشي على الأرض مرحًا، أو يشير إلى جميع ما تقدم من المناهي (لطائف الإشارات للقسطلاني ٤٠٠/٥).

قوله تعالى: (وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا) الإسراء: ٧٢.

فائدة: أمال أبو عمرو (أعمى) في الموضع الأول وفتح الموضع الثاني؛ فإنه جعل الأول اسمًا من (أعمى القلب)، وجعل الثاني للتفضيل أي فهو أعمى من ذلك، ولهذا عُطف عليها (وأضل سبيلاً)، وفرق بين اللفظين لاختلاف المعنيين (لطائف الإشارات للقسطلاني ٤٠٨/٥)، ولمعرفة مذاهب القراء في الإمالة والفتح يراجع (البدور الزاهرة ٥٠٧/٢).

ملحوظة: الإمالة أن تقرب الفتحة من الكسرة والألف من الياء، كما يميل حفص كلمة (مجراها) في سورة هود.

قوله تعالى: (وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا) الإسراء: ٧٦.

القراءات: قرأ نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو وشعبة بفتح الخاء وإسكان اللام من غير ألف (خَلْفَكَ)، وقرأ الباقون بكسر الخاء وفتح اللام وألف بعدها (خِلَافَكَ).

المعنى: معنى (خَلْفَكَ): بعدك كما قال تعالى: (نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا)؛ أي: بعدها، ومعنى (خلافك): مخالفتك أي لو أنك خرجت ولم يؤمنوا لنزل بهم العذاب (حجة القراءات لابن زنجلة ص١٩٢).

وللحديث صلة، والحمد لله رب العالمين.

عقيدة أهل السنة والجماعة في رؤية الله سبحانه وتعالى

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى، وعلى آله وصحبه الشرفاء، وبعدُ: فهذا بيان لعقيدة أهل السنة والجماعة في رؤية الله سبحانه وتعالى، أبينها في الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى: حكم رؤية الله في الدنيا:

أجمع أهل العلم على أن الله لا يراه أحد في الدنيا، واختلفوا في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم له -كما سيأتي- الدليل على ذلك:

إعداد/ المستشار/ أحمد السيد علي إبراهيم
نائب رئيس هيئة قضايا الدولة

أولا: من القرآن الكريم:

قَالَ الله تعالى: «وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ» (الأعراف: ١٤٣).

ثانيا: من السنة النبوية:

١- عَنْ أبي مُوسَى الأشعري رضي الله عنه قَالَ: «قَامَ فينَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم بخَمْس كلمَات. فَقَالَ: إنَّ الله عَزَ وَجلَّ لاَ يَنَامُ وَلا يَنْبَغي لهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفضُ الْقسْط ويَرْفعُهُ، يُرْفَعُ إلَيْه عَمَلُ اللَّيْل قَبْلَ عَمَل النَّهَار، وَعَمَل النَّهَار قَبْلَ عَمَل اللَّيْل، حجَابُهُ النُّورُ، (وَفي روايَة: النَّارُ)، لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهه مَا انْتَهَى إلَيْه بَصَرُهُ منْ خَلْقه» (رواه مسلم)

٢- عن عباده بن الصامت رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وإنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا» (أورده السيوطي في الجامع الصغير، وصححه الألباني).

الوقفة الثانية: حكم رؤية الله يوم القيامة:

يحسن بنا قبل أن نبدأ الكلام في رؤية الله تعالى، أن نذكر آراء العلماء في هذه المسألة،

لقد اختلف العلماء المسلمون في رؤية الله تعالى، هل هي جائزة واقعة أم لا؟ على رأيين:

١- فذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الله تعالى يجوز أن يُرى، وأن المؤمنين سيرونه في الجنة رؤية بصرية، منزهًا عن صفات المخلوقين.

٢- وذهب المعتزلة ومن تبعهم إلى أن رؤية الله تعالى بالعين الإنسانية مستحيلة وممتنعة.

الرأي الأول: مذهب أهل السنة والجماعة، رؤية الله عز وجل يوم القيامة:

أدلتهم: الأدلة من المنقول:

أولاً: من القرآن الكريم:

أ- الآيات الدالة على الرؤية صراحة:

١- قال تعالى: «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ» (القيامة: ٢٢- ٢٣).

٢- قال تعالى: «كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ» (المطففين: ١٥).

وجه الدلالة: قال الشافعي رحمه الله في: «لما أن حجب هؤلاء في السخط، كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في حال الرضا» (رواه البيهقي في معرفة السنن والآثار».

وقال تعالى «لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ» (يونس: ٢٦).

٣- قال تعالى: «إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ» (المطففين: ٢٢ – ٢٣).

٤- قال تعالى: «ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ» (ق: ٣٤ – ٣٥).

ب – الآيات الدالة على لقاء الله يوم القيامة دليلُ على الرؤية، ومنها:

١- قال الله تعالى: «وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» (البقرة: ٢٢٣).

٢- قال تعالى: «تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ» (الأحزاب: ٤٤).

٣- قال تعالى: «فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا» (الكهف: ١١٠).

٤- قال تعالى: «لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ» (الرعد: ٢).

٥- قال تعالى: «مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ» (العنكبوت: ٥).

٦- قال تعالى: «الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» (البقرة: ٤٦).

ثانيًا: من السنة النبوية:

١- عن صهيب بن سنان الرومى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، قالَ: يقولُ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى: تُرِيدُونَ شيئًا أزِيدُكُمْ؟ فَيقولونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنا الجَنَّةَ، وتُنَجِّنا مِنَ النَّارِ؟ قالَ: فَيَكْشِفُ الحِجابَ، فَما أُعْطُوا شيئًا أحَبَّ إليهِم مِنَ النَّظَرِ إلى رَبِّهِمْ عزَّ وجلَّ. وفي روايةٍ: وزادَ ثُمَّ تَلا هذِه الآيَةَ: «لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ» (يونس: ٢٦) (رواه مسلم).

٢- عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال: «كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إذْ نَظَرَ إلى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ قالَ: إنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كما تَرَوْنَ هذا القَمَرَ، لا تُضَامُونَ في رُؤْيَتِهِ، فإنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ لا تُغْلَبُوا علَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فافْعَلُوا.» (رواه البخاري)، وفى رواية عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضِي الله عنه: «أنَّ النَّاسَ قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، هلْ نَرَى رَبَّنا يَومَ القِيامَةِ؟ فقالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: هلْ تُضارُّونَ في القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ؟، قالوا: لا يا رَسولَ اللَّهِ، قالَ: فَهلْ تُضارُّونَ في الشَّمْسِ، ليسَ دُونَها سَحابٌ؟، قالوا: لا يا رَسولَ اللَّهِ، قالَ: فإنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذلكَ» (رواها البخاري، ومسلم).

قال ابن حجر رحمه الله في " الفتح ": «لا تُضَامُونَ في رُؤْيَتِه، فإنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ لا تُغْلَبُوا علَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فافْعَلُوا قوله (فإن استطعتم أن لا تغلبوا)) فيه إشارة إلى قطع أسباب الغلبة المنافية للاستطاعة كالنوم والشغل ومقاومة ذلك بالاستعداد له.

وقوله (فافعلوا) أي عدم الغلبة، وهو كناية

عما ذكر من الاستعداد. ووقع في رواية شعبة المذكورة "فلا تغفلوا عن صلاة" الحديث.

قوله (قبل طلوع الشمس وقبل غروبها)، زاد مسلم "يعني العصر والفجر" ولابن مردويه من وجه آخر عن إسماعيل "قبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل غروبها صلاة العصر" وقال ابن بطال قال المهلب: قوله "فإن استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة" أي في الجماعة. قال: وخص هذين الوقتين لاجتماع الملائكة فيهما ورفعهم أعمال العباد لئلا يفوتهم هذا الفضل العظيم.

قلت: وعرف بهذا مناسبة إيراد حديث "يتعاقبون" عقب هذا الحديث، لكن لم يظهر لي وجه تقييد ذلك بكونه في جماعة، وإن كان فضل الجماعة معلومًا من أحاديث أخر، بل ظاهر الحديث يتناول من صلاهما ولو منفردًا، إذ مقتضاه التحريض على فعلهما أعم من كونه جماعة أو لا.

قوله (فافعلوا) قال الخطابي: هذا يدل على أن الرؤية قد يرجى نيلها بالمحافظة على هاتين الصلاتين اهـ. وقد يستشهد لذلك بما أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر رفعه، قال إن أدنى أهل الجنة منزلة فذكر الحديث وفيه وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية وفي سنده ضعف، اهـ.

٣- عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «جنَّتان من فضة، آنيتُهما وما فيهما، وجنَّتان من ذهب، آنيتُهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظُروا إلى ربِّهم إلا رداءُ الكبْر على وجهه في جنَّة عدن». (رواه البخاري).

٤- عن السائب بن مالك رضى الله عنه في دعائه صلى الله عليه وسلم: «وأسألك لذّة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك» (رواه النسائي، وصححه الألباني).

٥- وفي حديث الشفاعة: «... فيأتوني، فأستأذن على ربي، فإذا رأيته وقعتُ ساجدًا، فيدعني ما شاء الله، ثمّ يُقال لي: ارفعْ رأسك: سَلْ تُعطه، وقُل يُسمعْ، واشفعْ تُشفَّعْ» (رواه البخاري، ومسلم).

٦- عن عديّ بن حاتم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما منكم أحدٌ إلا سيُكلِّمه ربُّه ليس بينَه وبينَه تُرجُمان، فينظُر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدّم من عمله، وينظُر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدّم، وينظُر بين يديه فلا يرى إلا النّار تلقاء وجهه، فاتقوا النّار ولو بشق تمرة» (رواه البخاري).

٧- عن عباده بن الصامت رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إني حدثتكم عن الدجال حتى خشيتُ أن لا تعقلوا، إنّ المسيح الدّجال رجل قصيرٌ، أفحج، جعدٌ، أعورُ، مطموسُ العين، ليست بناتئة، ولا جحراء، فإنْ أُلبِس عليكم؛ فاعلموا أنّ ربَّكم ليس بأعور، وإنكم لن تروا ربَّكم حتى تموتوا» (أورده السيوطي في الجامع الصغير، وصححه الألباني).

وجه الدلالة: بمفهوم المخالفة إذًا الرؤية ممكنة بعد الموت؛ أي: يوم القيامة.

ثالثًا: من الإجماع:

وقد نقل الإجماع على ذلك:

١- الإمام عبدالغني المقدسي رحمه الله حيث قال في "عقيدة الحافظ عبدالغني المقدسي": «وأجمع أهل الحق واتّفق أهل التوحيد والصدق- أن الله تعالى يرى في الآخرة كما جاء في كتابه وصح عن رسوله» اهـ.

٢- الإمام ابن أبي العز الحنفي- رحمه الله- قال في "شرح الطحاوي": «وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وأهل الحديث، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة» اهـ

٣- الإمام النووي- رحمه الله- قال في "شرح صحيح مسلم": «قد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، فمن بعدهم من سلف الأمة- على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين» اهـ.

وللحديث صلة إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

الموقع الرسمي والوحيد لمجلة التوحيد

www.magalet-eltawheed.com

موقع
التوحيد
تابع مجلة التوحيد
على موقعها الإلكتروني
موقع
التوحيد
تابع مجلة التوحيد
على موقعها الإلكتروني

التوحيد
أوسع المجلات
الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٨
مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة - عابدين ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - ٢٣٩١٥٤٥٦

مفاجأة

سعر الكرتونة

٩٢٠ جنيه مصري بدلا من ١١٧٠

هدايا قيمة

لأول ١٠٠ من المشترين

صدر حديثًا مجلد عام ١٤٤١ بسعر ٦٥ جنيهًا للنسخة

يوجد مجلدات لسنوات مختلفة سعر المجلد الواحد ٢٥ جنيهًا بدلا من ٤٠ جنيهًا

للحصول على الكرتونة الاتصال على الأستاذ / ممدوح عبد الفتاح : مدير قسم الحسابات بالمجلة

01008618513